الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

قسم اللّغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقيّة.

رسالة مقدّمة ضمن متطلّبات نيل شهادة ـ ماستر ـ موسومة بـــ:

دراسة كتاب: علم الدّلالة

و النظريّات الدّلاليّة الحديثة.

لـ: حسام البهنساوي.

إعداد الطّالبين:

ـ بكـوش أحمـــد.

ـ حمر العين محمّد.

تحت إشراف د : معزوز خيرة

لجنة المناقشة:

أ ـ د رزايقيّة محمود.	رئيسا.
أ ـ بحري قويدر.	مناقشا.
أ ـ معزوز خيرة.	مشرفا ومقرّرا.

الموسم الجامعيّ: 1441 هـ 2020 م / 1442 هـ 2021 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} صدق الله العظيم.

نشكر الله ونحمده على وصولنا إلى هذه المرحلة والدّرجة العلميّة ـ الماستر ـ كما نشكره جلّ وعلا على إلهامه لنا الصّبر والقوّة وإعانته لنا على مواصلة عملنا، وتوفيقه لنا لما يحبّ ويرضى شكرا يوافي النّعمة.

كما نتقدّم بجزيل الشّكر و خالص العرفان إلى من أطّرنا وحرص على توجيهنا وإرشادنا، إلى الأستاذة الفاضلة معزوز خيرة.

ونتقدّم بالشّكر أيضا إلى كلّ أساتذة كليّة الآداب واللّغات، والى أعضاء لجنة المناقشة، وإلى كلّ من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى روح والديّ الكريمين تغمّدهما الله بفضله وواسع رحمته.

إلى زوجتي الكريمة وأبنائي الأعزّاء أريج، عبد الرؤوف، جود.

إلى كلّ من جمعتني بهم الدّراسة بكليّة الآداب واللّغات بجامعة تيسمسيلت وأخصّ بالذّكر: خالد ، جمال، محمّد.

وإلى كلّ عزيز على قلبي من الإخوة، الأهل والأقارب، الأصدقاء وزملاء العمل.

بكـوش أحمد.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما.

إلى الزّوجة الكريمة وأبنائي الأعزّاء.

إلى والدي الكريمبن (المرحومة أمي)

إلى كلّ من جمعتني بهم الدّراسة بكليّة الآداب واللّغات بجامعة تيسمسيلت وأخصّ بالذّكر: خالد ، أحمد ، جمال.

وإلى كلّ عزيز على قلبي من الإخوة ، الأهل والأقارب ، الأصدقاء وزملاء العمل.

حمر العين محمّد.

البطاقة الفنيّة للكتاب:

اسم المؤلف: حسام البهنساوي.

عنوان الكتاب: علم الدّلالة والنظريات الدّلالية الحديثة.

موضوع الكتاب: علم الدّلالة.

اسم الناشر: مكتبة زهراء الشّرق.

رقم الطّبعة: الطّبعة الأولى.

سنة الطّبع:2009.

بلد الطّبع: جمهورية مصر العربية.

حجم الكتاب: متوسط 24×17.

وصف الكتاب: كتاب ورقي ذو غلاف شمعي بألوان مختلفة.[1]

[1] حسام البهنساوي ، علم الدّلالة والنظريات الدّلالية الحديثة ، مكتبة زهراء الشرق،مصر،ط1،2009

المقدّمة

مقدّمة:

لسنا بحاجة إلى تأكيد حقيقة مفادها أنّ الحديث عن الدّلالة يفصح عن جانب مهمّ ومصيري من حياة اللّغة العربيّة ، هذه اللّغة الّتي لا يمكن أن تكتب لها الحياة ويدوم بقاؤها مهما بلغت من الغنى إلّا باستعمالها وتداولها على ألسنة أهلها النّاطقين بها، و وصل حاضرها بماضيها، ولعلّ ذلك كان سببا إضافيّا في ظهور الدّراسات اللّغويّة ، دفع القدماء إلى المحافظة على لغة القرآن الكريم من ظاهرة اللّحن ، فنشأ بذلك مبدأ تنقية اللّغة العربيّة ، وظهرت تآليف مختلطة وأخرى مستقلّة حفظت للّغة العربيّة ماءها ، فدوّنت بذلك رتبها المحفوظة و غير محفوظة ، من منطلق السّماع والقياس والاستعمال.

حسام البهنساوي أحد اللغويّين المحدثين الّذين نظروا إلى الدّلالة الحديثة وحاولوا الغوص في قضاياها وأرسوا أصولها وقواعدها العلميّة الحديثة.إذ النّاظر للمؤلّفات الدّلالية الحديثة يقف أمام منهجيّة علميّة واضحة في وضع المصطلحات وتبعا لذلك يطرح قارئ هذه المؤلّفات تساؤلات عن رؤية حسام البهنساوي للدّلالة وآراءه حول مصطلحاتها ومفاهيمها وقضاياها.

فكيف كانت رؤية حسام البهنساوي إلى لدّلالة ؟ وهل هناك إضافة علميّة تميّز بها طرحه عن طرح سابقيه من العلماء ؟ وما هي منهجيّته في تتبّعه للنظريّات الدّلالية الحديثة ومعالجة قضاياها ؟

للإجابة على هذه الأسئلة ، حاولنا من خلال هذه الدّراسة تسليط الضّوء على أسباب التغيّر الدّلالي وعوامله مع ذكر أنواعه المشتملة على التّرادف، المشترك اللفظي والتّضاد في اللّغة العربيّة.

وقد اعتمدنا في ذلك على عدد من المصادر والمراجع أهمّها كتاب دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس وكتاب الخصائص لابن جنّي، إضافة إلى كتاب علم الدلالة لأحمد مختار، وغيره من المصادر التراثية والمصادر الحديثة.

وتعود أسباب اختيارنا لهذا البحث إلى محاولة الكشف عن مفهوم علم الدّلالة والنظريّات الدّلالية الحديثة، والوصول إلى النقطة الرئيسية الّتي تتأكّد من خلالها حقيقة التقاطع المعرفي بين الدّرس الدّلالي بين القدماء والمحدثين، بالإضافة إلى الميل نحو الخوض في أغوار الدّلالة.

لهذا تهدف هذه الدّراسة إلى تتبّع وتبيين علم الدّلالة، وكذا النظريّات الدّلالية الحديثة وأسباب التغيّر الدّلالي.

سطّرنا لهذا البحث خطة تتمثّل في مقدمة وفصلان وخاتمة.

الفصل الأول: تناولنا فيه تلخيص الكتاب المتضمّن ثلاثة أبواب، وتطرّقنا فيه إلى علم الدّلالة نشأته وتطوره، ثمّ تناولنا في بابه الثّاني الإشارة إلى النظريات الدّلالية الحديثة من نظرية إشاريّة وتصويريّة،سلوكيّة، سيّاقية، نظريّة الحقول الدّلاليّة، والرسائل اللغويّة،بالإضافة إلى نظريتي التّحليل التكويني والعلاقات الدّلالية، أمّا في الباب الثّالث فعرضنا للتغيّر الدّلالي ، أسبابه وعوامله وأنواعه.

الفصل الثّاني تناولنا فيه بالدّراسة التغيّر الّدلالي وتطرّقنا في فصله الأوّل إلى أسباب التغيّر الّدلالي وعوامله من الاستعمال بعناصره سوء الفهم وبلى الألفاظ والابتذال بالإضافة إلى الحاجة، وتناولنا في الفصل الثّاني أشكال التغيّر الدّلالي وأحواله من تعميم المعنى وتخصيصه ورقيّه وانحطاطه ،لنتناول في الفصل الثالث أنواع التعدّد الدّلالي من ترادف ومشترك لفظي وتضادّ في اللّغة العربيّة والتّفصيل بذكر القائلين به، والمنكرين له.

وأنهينا البحث بخاتمة تضمنت مجموعة من النّتائج، و اتّبعنا في هذه الدّراسة المنهج المقارن، والوصفي التّحليلي، وذلك لمناسبتهما موضوع بحثنا، فشمل الوصف والتّحليل نشأة علم الدّلالة وتطوّرها، النظريّات الدّلالية الحديثة بالإضافة إلى أسباب وعوامل التغيّر الدّلالي وأنواعه، وشل المنهج التاريخي تتبّع نشأة الدّلالة العربيّة مع مراعاة التّسلسل الزّمني في عرضنا للنظريّات الدّلالية الحديثة،

وككلّ بحث علميّ اعترضتنا بعض الصّعوبات لإنجازه ولكن بفضل الله وعونه ، ثمّ بالنّصائح والتّوجيهات المقدّمة من الأستاذة المحترمة المشرفة السيّدة معزوز خيرة ، استطعنا اجتيازها ولله الحمد، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطانا فمن أنفسنا والشّيطان.

الطالبان: ـ بكوش أحمـــد.

ـ حمر العين محمّد.

تيسمسيلت في 2021/06/09

المدخل

1 ـ ترجمة الكاتب.

2 ـ مؤلّفاته.

3 ـ دوافع تأليف الكتاب.

4 ـ تاريخ البحث في الموضوع وراهنيّته.

5 ـ القيمة العلميّة للكتاب.

6 ـ المادّة العلميّة للكتاب.

7ـ دراسة سيميائية لعنوان و واجهة الكتاب.

يعدّ علم الدّلالة واحدا من علوم اللّغة الحديثة نسبيا إذا ما قيس بعلم الأصوات أو علم النّحو أو علم الصرف ، أطلقت عليه عدة أسماء في اللّغة الإنجليزية أشهرها كلمة " Sementic "

أمّا في اللّغة العربية فبعضهم يطلق عليه علم الدّلالة والبعض أطلقوا عليه اسم السيمانتيك، وكان العالم الفرنسي ميشيل بريال M.breal هو أول من استعمل المصطلح سنة 1897 أواخر القرن التاسع عشر في رسالته " محاولة في علم الدّلالة ".

وهو من العلوم اللّغوية التي حضيت باهتمام العلماء قديما وحديثا ويدور هذا العلم في فكّ المعنى وهو الأساس الذي تنتهي إليه الدّراسات الدّلالية،فهو يبحث في معاني الألفاظ ويكشف لنا العلاقة بين الألفاظ ومعانيها وبين اللّغة ومستخدميها.

1ـ ترجمة الكاتب:

هو حسام البهي علي البهنساوي من دولة مصر الشقيقة، المفكّر اللّغوي ، ذو شخصية قوية طموح جدا ،حياته مفعمة بالإنجازات والاهتمامات البحثية وافته المنية بتاريخ 22-07-2018م

أ / تدرجه الوظيفي:

عمل كأستاذ مساعد بجامعة الفيوم ابتداء من سنة 1994م إلى غاية سنة 2001م ثمّ كأستاذ محاضر بنفس الجامعة من سنة 2001م إلى أن وافته المنية سنة 2018م

ب/تدرجه الأكاديمي:

- رئيس مجلس قسم اللّغة العربية والدّراسات السامية والترقية بكلية الفيوم اعتبارا من 05-09-2001 م إلى غاية 31-08-2004م.
- وكيل كلّية الشؤون البيئية وخدمة المجتمع من: 11-11-2001م إلى 15-08-2004م.
- وكيل شؤون الدّراسات العليا و البحوث إعتبارا من:16-08-2004م إلى12-09-2012
- عضو مجلس الدراسات العليا والبحوث لجامعة الفيوم.
- أمين سرّ اللّجنة العلمية اعتبارا من: 09-01-2005م إلى غاية 12-09-2007م.
- مقرّر اللّجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة وأستاذ مشرفا بكلية دار العلوم بجامعة الفيوم.

ج/ اهتماماته البحثية:

كتابة المؤلفات العلمية المختصة في مجال العلوم اللغوية.

إنجاز بحوث لغوية تطبيقية في مستويات الدرس اللغوي.

إعداد الندوات والمؤتمرات العلمية المتخصصة في مجال العلوم اللّغوية لكلية دار العلوم بالجامعة.

د/ رسالتا نهاية تخرّجه:

1: دراسة وصفية تاريخية للّهجات الدقهلية على مستوى الأصوات والبنية، أطروحة ماجيستير كلّية البنات، جامعة عين شمس سنة 1987م القاهرة.

2: التراكيب والدّلالة في اللّهجات الدقهلية، دراسة وصفية تاريخيه، أطروحة دكتوراه، كلّية البنات جامعة عين شمس سنة 1989م القاهرة.

هـ/ كما نجد له عدّة مؤلفات وكتب هي:

1 علم الدّلالة والنظريات الدّلالية الحديثة.

2 الدّراسات اللّغوية التاريخية المقارنة والدرس اللغوي الحديث.

3 قواعد الرّبط وأنظمته في العربية ونظريات الرّبط اللّغوبة الحديثة.

4 الدّارسات الصوتية عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث.

5 التّراث اللّغوي العربي وعلم اللّغة الحديث.

6 أنظمة الربط في العربية دراسة في التراكيب السّطحية بين النّحاة والنظرية التّوليدية الحديثة.

7 دراسة في علم الأصوات.

8 التّوليد الدلالي.

9 لغة الطفل.

10 أهمّية الربط بين التّفكير اللّغوي عند العرب ونّظريات البحث اللّغوي الحديث.

2 ـ دوافع التّأليف:

العرض التاريخي لنشأة علم الدلالة عند العلماء القدماء والمحدثين ، مع تخصيص قدر من المباحث لعرض المقصود بالوحدة الدلالية وتبيين وجهات النظر للعلماء ، بالإضافة إلى عرض النظريات الدّلالية الحديثة ودور كل منها في تعميق الدّارسات الدلالية وتأصيلها ، مع ذكر خصائصها ومميّزاتها وعيوبها وجوانب القصور في كل منها، مع التطرق إلى أسباب التغيّر الدّلالي وعوامله وأشكاله ، ومقارنة كلّ هذا وربطه بالعلماء العرب القدامى وتأليفهم لمختلف الرسائل.

كلّ هذا بأن تكون المحتويات والتحليلات والأمثلة في إضافة شيء جديد لما قدمه مختلف العلماء الذين مهدوا السبيل في الكشف عن الكثير من القضايا الدّلالية والنظريات الدّلالية الحديثة.

المادّة العلميّة للكتاب:

اعتمد الكاتب في تأليف كتابة على أكثر من 175مرجعا منها المعاجم مثل:

- المقاييس لأحمد بن فارس.
- أساس البلاغة للزمخشري.
- القاموس المحيط لفيروز أبادي.
- لسان العرب لابن منظور.

كتب الدّلالة نجد:

- دلالة الألفاظ لـ: إبراهيم أنيس.
- علم الدّلالة لـ: أحمد مختار.

كتب اللغة:

- دراسات في علم اللّغة لـ: كمال بشر.
- علم اللّغة لـ: علي عبد الواحد وافي.
- علم اللّغة نشأته وتطوره لـ: محمود جاد الرّب.
- من أسرار اللّغة لـ: إبراهيم أنيس.

- مبادئ اللّغة مع شرح أبياته للخطيب الإسكافي.

الكتب المترجمة مثل:

- اللّغة لـ: فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومُحَمَّد القصاص.
- دور الكلمة في اللّغة لـ: ستيفين أولمان، ترجمة: كمال بشر.
- العربية ، دراسات في اللّغة واللهجات والأساليب لـ: يوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التوّاب.
- علم الدّلالة إطار جديد لـ: بالمر، ترجمة: صبري السيد.
- مظاهر النظرية النحوية لـ: نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر.

أمّا عن الكتب والمراجع الأجنبية فهي:

1-W.alston: theory of meaning in theory of mening usa 1970.

2-L.bloom field: language, London, 1962.

3- A.Breal: studies in science of meaning, 1900.

4-N.chomsky: studies on semantics in grammar, 1975.

5-S.ullmann: the principles of semantics, GB, 1967.

تناول حسام علي البهنساوي في كتابه الموسوم بـ: علم الدّلالة والنظريات الدّلالية الحديثة نشأة وتطوّر علم الدّلالة عند كل من: اليونانيين والهنود وعلماء العرب القدامى من خلال دراستهم للعلاقة الطبيعية بين اللّفظ والمعنى، كان هذا في بابه الأوّل ولأنّ الدّراسات اللّغوية خطت خطوات علمية و منهجية ومن بينها علم الدّلالة ، نظّر لها علماء من أمثال : كريستوفر نيروب K.nyrop، و ستيفن أولمان S ullmann، و ريشارد وأوجدن richards.ogden، دون أن ننسى اللغوي فيرث firth ، و زيلج هاريس Z.harris، أفرام نعوم تشومسكي N.chomsky ، كلّ هؤلاء أسهموا في تأسيس علم الدّلالة و وتأصيله، لأنهم أدركوا قيمة المكوّن الدّلالي باعتباره واحدا من المكوّنات التّفسيرية ضمّ مكوّنات مختلف نظرياتهم، وهذا ما تناوله الكاتب في بابه الثاني حينما عرّج إلى جلّ النّظريات الدّلالية من تصويريه، سلوكية وسياقيّة ونظريات التّحليل التكويني والعلاقات والحقول الدلالية، دون أن يغفل عن ذكر جهود العرب القدامى وتأليفهم وتصنيفهم للرّسائل و المعجمات الموسوعية، تطرّق الكاتب إلى كلّ هذا في الباب الثاني الذي اشتمل على سبعة فصول .

أما الباب الثالث فتناول فيه الكاتب قضية مهمّة وهي دراسة أسباب التغيّر الدّلالي وعوامله من جهة ، وأشكاله و أحواله من جهة أخرى . وخصّص دراسة لأنواع التعدد الدّلالي المختلفة في ظواهر الترادف، المشترك اللّفظي و التّضاد، مع تبيان عدم اقتصارها على اللّغة العربية بل شيوعها في معظم اللّغات الأخرى، كل هذا مع عرض آراء العلماء العرب القائلين بوجودها والرافضين والمنكرين لها مع التمثيل بالحجج والبراهين.

قراءة سيميائية لغلاف كتاب علم الدّلالة والنظريات الدّلالية الحديثة:

إنّ أوّل ما نلاحظه ونحن نقوم بقراءة بصرية لواجهة الغلاف هو أهمية الألوان التي تمتد بشرائطها على عرض الكتاب، يعلوه اللّون البرتقالي ثم الأخضر الفاتح، يليه البنفسجي ثم الأخضر الداكن فبنفسجي ثان ويليه البرتقالي.

وكذلك هو نفس الحال بالنسبة للكتابة على وجه الغلاف ، فهي أيضا بعدّة ألوان ، عنوان الكتاب (علم الدلالة) كتب بحجم كبير، بخط أفخم و أبرز هو خط الثلث الذي يعد من أبرز الخطوط العربية وأشهرها ، المتأصل من الخط النسخي ، وسمي كذلك لأنه يكتب بقلم محرفا بسمك الثلث ، ذو لون أزرق على خلفية ذات لون برتقالي وأخضر فاتح، تتمة العنوان (النظريات الدلالية الحديثة) كتب بنفس الخط، أصغر قليلا، بلون أبيض على خلفية بنفسجية، أما اسم المؤلف (حسام البهنساوي) كتب أيضا بنفس رسم الخط ، بلون أصفر على خلفية خضراء ، و يلي ذلك مكانته العلمية و مهنته (أستاذ العلوم اللغوية، وكيل كلية دار العلوم جامعة الفيوم)كتب كذلك بنفس الخط على خلفية بنفسجية، و على ذات الخلفية كتبت لفظة الناشر بلون أحمر و(مكتبة زهراء الشرق) بلون أزرق ، أسفل كل هذا صورة لكتاب مفتوح على جانبه زهرة متفتّحة ، كلاهما بلون أصفر، و باللّون الأسود كتب كل من عنوان المكتبة و رقم التيليفاكس بالأرقام الهندية .

كل هذه الألوان و الخطوط الهدف منها بالدّرجة الأولى لفت انتباه القارئ ، و تقديم اسم المؤلّف والعنوان والإشهار لهما، أمّا الشكلان الهندسيان للكتاب المفتوح و الزّهرة التي بجانبه ، إمّا أن يعدو إلى دار النشر و رمزا لها دلالة على اسمها (زهراء الشرق) ، و إما أن يحيلنا إلى دلالة أنّ من يقرأ هذا الكتاب ينال العلم و يرتوي منه، كما ترتوي النحلة من رحيق الزهرة المفتوحة، كما أنّ طبيعة الألوان الفاتحة و المشرقة على الكتاب تحيلنا إلى دلالة ذلك الغد الجديد بألوانه الزاهية المتفتحة، وأسفل الغلاف نجد أن الإشهار بدار النشر من خلال الاسم و العلامة الإشهارية هو أمر مشروع حيث يسعى الناشر من خلال هذا الكتاب إلى التقديم الجيد والإخراج الفنّي للغلاف خاصة بكونه إشهارا مجانيا للمؤلف و دار النشر على الخصوص.

أمّا عن دلالة ألوان الكتاب ، فاللّون البرتقالي هو لون مشعّ بالطّاقة يبعث الحرارة و الدفء اللّذان يميّزان لون أشعّة الشمس ، يمنح النّاظر إليه الشعور بالسّعادة و الطّاقة العاطفية مما يشعره بالثّقة والرضى ، أما اللّون البنفسجي فهو يرتبط بالخيال و الروحانية وهو بذلك يحفّز الخيال ويلهم الإنسان ، بحيث يسمح بالوصول إلى الأفكار العميقة ، بالتالي يوسّع الآفاق ويزيد الوعي. أمّا دلالة اللّون الأخضر للكتاب فتحيلنا إلى الحياة و البدايات الجديدة ، النمو و القوّة ، النشاط والحيوية، و ملخّص كل هذه الألوان مجتمعة كما نرى هي : يوم جديد، شعور بالثقة، الرضى بالنفس، إشعاع بالطاقة ، بالتالي وصول إلى الأفكار العميقة تترجم إلى توسيع الآفاق بالإضافة الى زيادة الوعي ونشر الإبداع.

ينتمي تخصّص كتاب علم الدّلالة والنّظريات الدّلالية الحديثة للكاتب حسام البهنساوي إلى الحقل المعرفي الخاص بالدّراسات اللغوية ، حيث قدّم لنا مدخلا لنشأة علم الدّلالة وتطوّره عند اليونان والهنود والعرب، وأجاده بلغة سلسلة قريبة المأخذ وباختصار ، ونظنّ بذلك أنّ المؤلّف قد حقّق هدفه من تأليفه والدليل على ذلك شهرة الكتاب وتداوله الواسع بين أهل العلم وطلابه.

كما لم نلاحظ من المؤلف تحيّزا لفكرة أو منهج، أو غير ذلك، بل كان موضوعيا في طرحه يسوق ما يخدم القارئ ويفيده ، وربّما كان لهدفه التعليمي دور في ذلك، فلم يكن بموقف المحاجج بل في موقف العارض المقرّب للفكرة ، الذي لا يهدف إلى ترجيح فكرة عن أخرى ، وقد استخدم حسام البهنساوي التهميش للإضاءة والتدليل والتعليل وضرب الأمثلة خشية إطالة المتن والإثقال على القارئ تسهيلا له.

كما كانت معالجته لموضوع الكتاب شاملة لأهم المباحث في علم الدّلالة كما أنّ ما كتبه هذا متّصل بمؤلفات أخرى له تتناول الموضوع ذاته على غرار كتابه المعنون بـ: التّوليد الدلالي.

كما نرى بأنّ المؤّلف أجاد في سبك وحبك كتابه من مراجع عامة وخاصة ، ابتداء من التعريف بعلم الدّلالة وذكر تاريخه عند اليونان والهنود والعرب القدماء، ثم عرضه للوحدة الدلالية

وبعد ذلك تناول النّظريات الدّلالية الحديثة ومالها وما عليها ، وتعرّض في الأخير إلى أهمّ القضايا الدّلالية المتمثلة في أسباب وأشكال التغيير الدّلالي و أنواعه ، ليختم كتابه بالحديث عن ظواهر التّرادف ، المشترك اللّفظي والتّضاد ،كل هذا كان بلغة سلسلة قريبة المأخذ لم نأخذ عليها إلا شيئا واحدا وهو:

1 : استعمال الكاتب اللّغة الإنجليزية بدلا من اللّغة الفرنسية في تعريفه للمصطلحات باللغة الأجنبية ، ونعوز هذا الأمر في تقديرنا إلى أنّ استعماله ذات اللغة نابع من إتقانه لها ،كون دولة مصر تجيز اللّغة الإنجليزية كلغة أجنبية أولى بعد اللّغة العربية، باعتبارها مستعمرة سابقة لها.

2: اعتماده في جميع مراجعه باللّغة الأجنبية إلى أكثر من 42 كتابا كلّها كانت باللّغة الإنجليزية.

وبعد تتبّع اقتباسات الكاتب، وإحالاته بالرجوع إلى المصادر العربية والأجنبية، التي استقى منها مادة كتابه واستند إليها، يتجلى لنا وضوح نـــــزاهة الكاتب وأمانته العلمية في النّقل.

الفصل الأوّل:

تلخيص الكتاب.

1 ـ علم الدّلالة نشأته وتطوّره.

2 ـ النظريّات الدّلاليّة الحديثة.

3 ـ التغيّر الدّلالي.

الباب الأوّل: علم الدّلالة نشأته وتطوّره.

تناول الكاتب حسام البهنساوي في هذا الباب نشأة علم الدّلالة وتطوّره من خلال فصول أوّلها الدّراسة الدّلالية عند العلماء القدامى، فتطرّق للدّلالة عند اليونان،الهنود،وعلماء العرب،ثم تناول في فصله الثّاني الدّراسات الدّلالية في الدّرس اللّغوي الحديث، ليختتم بابه هذا بالحديث في فصله الثّالث عن الوحدة الدّلالية، ويرى بأنّ علم الدّلالة واحد من علوم اللّغة الحديثة نسبيّا إذا ما قيس بعلم الأصوات، أو علم النّحو أو التّراكيب، أو علم الصّرف وغيرها من العلوم، غير أنّ الاستخدام الأوّلي لها لم يظهر إلّا في أواخر القرن التّاسع عشر في الجمعيّة الأمريكيّة لعلماء فقه اللّغة سنة 1894م.

ويعود الفضل إلى اللّغوي الفرنسي ميشال بريال "M. breal " في اكتشاف كلمة "سمانتيك" لتكون مصطلح دالّا على علم الدّلالة، والّذي هو امتداد لعلم المعنى،كما أنّ ذات المصطلح عند ترجمته إلى الإنجليزيّة ، قد حضي بقبول الباحثين، وأصبح متداولا في الدّراسات اللّغويّة.

امتدّ البحث الدّلالي في أعماق التاريخ، ولم يكن وليد القرن التّاسع عشر كما أسلفنا سابقا، وكانت اهتمامات العلماء جليّة منذ القدم بأهميّة الدّلالة والمعنى، لكنّها تأصّلت وتعمّقت ووضعت لنفسها مسارا وهويّة خاصّة مع ظهور النظريّات الحديثة ، وخاصّة بعد ظهور الدّراسات اللّغويّة التاريخيّة والوصفيّة، والدّليل ما قدّمه العالم فردينان دي سوسير" F.de saussure "في مؤلّفه الهام (محاضرات في علم اللّغة العام)[1]

وقد شمل الفصل الأوّل من هذا الكتاب على ثلاث مباحث فرعيّة، حيث يتحدّث فيها الكاتب حسام البهنساوي عن الدّراسات الدّلالية عند اليونان،والهنود، وعند العلماء العرب.

[1] ينظرحسام البهنساوي ، علم الدّلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص11 -12.

الدّراسات الدّلالية عند القدماء.

أوّلا: عند اليونان.

كان للبحوث والمناقشات الّتي دارت بين علماء اليونان وفلاسفتهم دور في إبراز أهميّة علم الدّلالة، فالعلاقة بين اللّفظ ومدلوله من القضايا الّتي تعرّض لها أفلاطون في نقاشاته مع تلامذته من أمثال سقراط، حيث يرى بأنّ العلامة بين اللّفظ والمعنى كانت في بدايتها واضحة ثمّ تطوّرت الألفاظ ، ولم تعد تلك الصّلة واضحة، كما كان الحال منذ البداية.

لكنّ الفيلسوف أرسطو يرى بأنّ المعنى والدّلالة متطابق مع التصوّر الموجود في عقل المفكّر ونجده يفرّق بين ثلاثة أمور وهي:

1: الأشياء في العالم الخارجي.

2: معاني الدّلالات، وهي التصوّرات العقليّة لها.

3:الألفاظ، الكلمات والرموز[1]

دراسة العلاقة بين اللّفظ والمعنى كان أيضا من اهتمام مفكّرين وعلماء آخرين، ولم يقتصر فقط على الفلاسفة اليونانيّين الّذين اعتبروها علاقة اصطلاحيّة ، ويعلّق على الفريقين العالم ستيوارت شاس " S.CHASE " في كتابه طغيان الكلمات بقوله:"إنّهم مناطقة أسوياء، يندر نظراؤهم في العالم ، إلاّ أنّهم لم يزالوا على مقربة من المقدَّسات البدائيّة ، فلم تتخلّص عقولهم من سحر الكلمة، وحسبوا إنّها ذات قوّة كامنة فيها، كما قد يحسب الطفل، أو معتقد الشّعوذة ، لولا ذلك لما أقاموا كلّ شيء على " اللوغوس" وشغلوا العقول والنّفوس بهذه الفكرة إلى اليوم"[2]

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص13.

[2] ينظر المرجع نفسه ص 14.

ثانيا: عند الهنــود.

لم يكن الهنود أقلّ اهتماما بالدّلالة ومباحثها من اليونانيّين، فقد عالجوا منذ وقت مبكّر جدّا الكثير من المباحث والقضايا المتعلّقة بدلالات الكلمات، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك دقّة في مجال البحث والتّحقيق الدّلالي ، ناهيك عن مناقشاتهم للقضايا الّتي يعتبرها علم اللّغة الحديث من مباحث الدّلالة كنشأة اللّغة، والعلاقة بين اللّفظ والمعنى، وأنواع الدّلالة للكلمة، وأقرّوا بوجود أربعة أقسام للدّلالات تبعا لعدد الأصناف الموجودة في المكوّن اللّغوي،لأنّ الكلمات شارحة لهذه الأصناف وهذه الأقسام الأربعة هي:

قسم يدلّ على مدلول عامّ أو شامل، ومثاله كلمة: رجل.

قسم يدلّ على كنية، ومثاله كلمة: طويل.

قسم يدلّ على حدث، ومثاله الفعل: جاء.

قسم يدلّ على ذات، ومثاله: مُحَمَّد.[1]

ولم يقتصر اهتمامهم فقط بهذه المسائل، بل تعدّى ذلك إلى اهتمامهم بالسياق الّذي ترد فيه هذه الكلمات وإيضاحها للمعنى، كما أشاروا أيضا إلى وجود التّرادف والمشترك اللّفظي وأثره كظاهرة عامّة في جميع اللّغات، ناهيك عن دور القياس وقيمته اللّغويّة، والمجاز وأثره في تغيير المعنى.

ثالثا: عند العلماء العرب القدامى.

اهتم علماء العرب قديما بالدّلالة لأنّ لغتهم تمتاز بالثّراء الواسع، والتصرّف المعنوي العريض فكلّ لفظ في اللّغة العربيّة له إيضاحات كثيرة، ولم يقتصر هذا الاهتمام من العلماء اللّغة فقد نجد فريقا من العلماء العرب يقول بالعلاقة الطبيعيّة بين اللّفظ و المعنى تأثّرا في نظرتهم الدّلالية بالفلاسفة اليونانيّين، ولعلّ المفكّر العربي عباد بن سليمان هو أحد القائلين بذلك كما ورد في كتاب المزهر للسّيوطي في قوله:"إنّ بين اللّفظ و مدلوله مناسبة طبيعيّة حاصلة للواضع، على أن يضع وإلّا كان

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 14.

تخصيص الاسم المعيّن بالمسمّى المعين ترجيحا من غير مرجِّح."[1] وكان بعض من يرى رأيه يقول:"إنّه يعرف مناسب الألفاظ لمعانيها، فسُئل: ما مسمى " إذغاع" وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيه يبسا شديدا، وأراه الحجر.[2]

كما نجد جمهورا من العلماء العرب يقولون بالعلاقة بين الألفاظ ومعانيها، وقد تناول الكثير منهم الرّبط بين اللّفظ والمعنى، ويعلّق السّيوطي على هذا الرّبط بقوله:وأمّا أهل اللّغة العربيّة فقد كانوا يطبّقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني،لكنّ الفرق بين مذهبهم ومذهبنا،أنّ عبّادا يراها ذاتية موحية بخلافهم.[3]

أمّا العالم النحويّ أبو الفتح عثمان بن جنّي المشهور بـ (ابن الجنّي) فقد تطرّق في كتابه المشهور (الخصائص) لهذه العلاقة بين الألفاظ ومعانيها وخصّص لها أبوابا أربعة وهي:

1: باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمعاني:

يعرض ابن جنّي أمثلة كثيرة ويؤكّد في هذا الباب بأنّ للمعنى الواحد أسماء كثيرة،وأنّه بالبحث والفحص عن أصل هذه الأسماء فإنّها تتلاقى في معنى واحد حيث يفضي المعنى إلى معنى صاحبه.[4]

2: باب في الاشتقاق الأكبـر:

لم يسبق أحد ابن جنّي إلى هذا الباب، فهو من صنّفه من أصحابه، ولكنّ ابن جنّي يشير إلى أنّ أستاذه أبا علي الفارسي رحمه الله قد استعان وخلد إلى هذا الباب وتعلّل به.

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 15.
[2] ينظر المرجع نفسه ص 15.
[3] ينظر المرجع نفسه ص 15.
[4] المرجع نفسه ص 16.

ويشرح لنا الاشتقاق الأكبر: وهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثيّة وتعقد عليه وعلى تقاليبه الستّة معناً واحدا، ومن أمثلته:تقاليب كلمة (جبر) حيث يقول:"فهي أين وقعت فهي للقوّة والشدّة ، منها جبرت العظم والفقير، إذا قوّيتهما وشددت منهما، والجبر: الملك لقوّته، ومنها رجل مجرّب: إذا جرسته الأمور ونجذته فقويت منّته، ومنها الجراب: لأنّه يحفظ ما فيه،وإذا حفظ الشيء اشتدّ وقوى، ." [1]

3: باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.

وقد أورد ابن جنّي أمثلة كثيرة في هذا التصاقب على النّحو الآتي:

أ: اقتراب الأصلين الثّلاثيّين، ومثاله: ضياط وضيطار،ورخو ورخود.

ب: اقتراب الأصلين الثّلاثيّين أحدهما رباعيا صاحبه ، أو رباعيا أحدهما خماسيا صاحبه،مثل: دمث ودمثر، و سبط وسبطر.

ج: ما سبق ذكره في الاشتقاق الأكبر، وما ورد فيه من أمثلة تدلّ على اتّفاق المعاني وتقاربها لتقارب الألفاظ وتقاليبها ، وقد أطلق عليه ابن جنّي مصطلح التّقديم والتّأخير.

د: التبادل بين أصوات الكلمات لتقاربها المخرجي، أو لاتّفاقها في الصّفات، ومثال ذلك كلمة تؤزّهم في قوله تعالى:{ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزا} أي تزعجهم، فهذا في المعنى تهزّهم هزّا، يقول ابن جنّي: "والهمزة أخت الهاء تتقارب اللّفظة لتقارب المعنيين." [2]

ومن التّصاقب أيضا يذكر ابن جنّي في كلمة (القرمة) وهي الفقرة تحزّ على البعير وقريب منه قلّمت أظافري لأنّ هذا انتقاص للظفر، وذلك انتقاص للجلد، ثمّ يعلّق على ذلك بقوله: فالرّاء أخت اللّام والعملان متقاربان.

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 18.
[2] المرجع نفسه ، ص 19.

4: باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني:

ويذكر بن جنّي أنّ كلّا من الخليل وسيبويه قد تفطّنا للعلاقة بين الألفاظ والمعاني، كما أنّهما قبلاه واعترافا بصحّته.

أمّا الخليل يقول: كأنّهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدّا، فقالوا: صر، وتوهّموا في صوت البازيّ تقطيعا فقالوا: صرصر. [1]

أمّا سيبويه فإنّه يقول: "ومن المصادر الّتي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولهم: النزوان، والنقزان، والفقزان، وهي أشياء في زغزغة البدن، واهتزازه في ارتفاع، وقد جاء على فعال :نحو قولهم:النزاء والقمّاص، كما جاء عليه الصوت نحو: الصّراخ والنّباح؛ لأنّه زغزغة وتحرّك، ومثله الغثيان لأنه تخيّش النّفس وثورانها. [2]

أمّا ابن جنّي لا يقتصر على العلاقة بين الألفاظ وأبنيتها المختلفة بل إنّه يصل إليها من المكوّنات الصّغرى لهذه الأبنية، ألا وهي الأصوات حيث يقول:"فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب واسع... ومن ذلك قولهم: خضم و قضم ، فالخضم لأكل الرّطب كالبطيخ والقثّاء وما كان نحوها، والقضم للصّلب اليابس، نحو أكل الدّابة للشّعير ونحو ذلك.

أمّا أحمد ابن فارس فقد أسّس معجمه مقاييس اللّغة على أسس فكرة الأصول، والصّلة بين الألفاظ ومعانيها، حيث يقول: "الظاء والفاء والراء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على القهر والفوز والغلبة ، والآخر على قوّة في الشّيء، ولعلّ الأصلين يتقاربان في القياس. [3]

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 19.
[2] ينظر المرجع نفسه ص 21.
[3] ينظر المرجع نفسه ص 23.

الدّراسات الدّلالية في الدّرس اللّغوي الحديث:

يذهب البهنساوي بعد الحديث عن الدّراسات الدّلالية عند القدامى إلى الدّراسة الدّلالية في الدّرس اللّغوي الحديث، ويرى أنّها اكتملت وتعمّقت على يد العالم اللغوي ماكس مولر M.MULLER " في كتابه العلم واللّغة 1862م، والعلم والفكر سنة 1887م، لكنّهما لم يتعمّقا إلى الحقائق الدّلالية للرّبط بين اللّغة والتحليلات المنطقيّة للمعنى.

أمّا اللغويّ الفرنسيّ ميشال بريال " M.BREAL " ، فقد كان اهتمامه بالبحث في دلالة الألفاظ في اللّغات القديمة، تلك التي تنتسب إلى فصيلة اللّغات الهندوأوربية ، كاللّغات اليونانية واللاّتنية والسنسكريتية وغيرها ، ويعدّ بحثه أو مقالته بعنوان " Essai de semantique " سنة 1897 م ، من البحوث المهمّة في دراسة علم الدّلالة.[1]

الدّراسة الدّلالية نحت منحا علميّا ومنهجيّا على حدّ تفسير أولمان " ULLMANN " حيث اهتمّ بعـــــلم الدّلالة اهتماما كبيرا، وقد ظهرت اهتماماته بدراسة الدّلالة في مؤلّفيه (علم الدّلالة) و (أسس علم الدّلالة) إلى جانب مؤلّف ثالث تحت عنوان (دور الكلمة في اللّغة) سنة1962م، كان هذا في بداية الثلاثينيّات من القرن العشرين،لكن سبقه إلى ذلك الاهتمام العالم اللّغوي الفرنسي كريستوفر نيروب " K.NYROP" في كتابه (دراسات تاريخيّة لنحو الفرنسيّة) سنة 1913م حيث خصّص قسما من كتابه للتّطوّر الدّلالي.

يضيف البهنساوي أنّه لا يمكن إخفاء جهود العالمين أوجدن و ريتشارد " OGDEN RICHARDS" اللّذان حاولا تقديم نظريّة العلاقات والرّموز في كتابهما: معنى المعنى، وتقديمها لتعريف المعنى أكثر من تعريف، مع اعتمادهما على مثلّث الأساس في إبرازهما للعلاقة مع اشتراطهما توافر ثلاثة جوانب رئيسيّة وهي:

[1]: ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 25.

- الرّمز: وهو الكلمة المنطويّة الّتي تشمل على مجموعة من الأصوات،مثل: منضدة.

- الفكرة: وهي عبارة على محتوى ذهنيّ لكلمة منضدة لدى السّامع

- الشيء المعني أو المقصود بكلمة المنضدة.[1]

أمّا اللّغويّ الإنجليزيّ فيرث " FIRTH" رائد المدرسة الشكليّة التّركيبيّة في الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، فقد حدّد أركان منهجه وحدوده في ثلاثة أمور أوجب إتّباعها في مستويات اللّغة بوجه عام، وفي مستوى المعنى بوجه خاصّ، وهذه الأمور هي:

ـ **أوّلا**: وجوب اعتماد كلّ تحليل لغوي بالمقام مع ملاحظة كلّما يتّصل بهذا المقام من عناصر أو ظروف وملابسات وفق الكلام الفعلي.

ـ **ثانيا**: وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته، بحيث لا يتمّ الخلط بين اللّفظة وأخرى، كما يوجب هذا التّحديد تحديدا للبيئة الاجتماعيّة والثقافيّة.

- **ثالثا**: التّحليل اللّغوي، ينبغي ألّا يتمّ دفعة واحدة، وإنما على مراحل، لأنّ الكلام يتألّف من أحداث معقّدة.[2]

ولتوضيح ذلك نأخذ كلمة ولد: لها وظيفة صوتيّة أو معنى صوتي، كما لها معنى قاموسي، ولها مقابل استبدالي في كلمات معيّنة مثل بلد،وجد...إلخ يؤكّد استعمالها في معنى مخالف، ولها معنى صرفيّ بحيث تكون فعلا أو اسما، وبذلك تأخذ مواقع، وتُسند إلى ضمائر،ولها معنى اجتماعي وهو ما يتعلّق بعلم الدّلالة عند فيرث وأتباعه، وهذا المعنى الاجتماعي يُحدّد من خلال الاستعمالات وفقا للسيّاق، والموقف اللّغوي مع مراعاة الظّروف والملابسات الّتي تنتمي لها.

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 27.

[2] ينظر المرجع نفسه ص 29.

أمّا بلوم فيلد " B.FIELD "اللّغوي الأمريكي، ورائد البحث اللّغوي وعلى الرّغم من اهتمامات علماء آخرين مثل : إدوارد سابير" E.SAPIR "، وفرانز بوعز" F.BOAS " إلّا أنه يبقى هو الصّرح الكبير للدّراسات اللّغوية، حيث يُعدّ كتابه (اللّغة) هو المرجع الأساس بل يعدّونه في أمريكا بالكتاب المقدّس في علم اللّغة، وتأتي أهميّة آراءه في دراسة المعنى، إلى ماشاع بين تلامذته من رفضه للمعنى ، ونظرته إلى دراسته للمعنى على أنّها تنتمي إلى مجالات أخرى عن اللّغة ، كمجالات المنطق والفلسفة وعلم النّفس، وأنّ الدّراسة الحقيقيّة للّغة هي تلك الدّراسة الماديّة الحسيّة ، ويشير البهنساوي إلى أنّ بلوم فيلد نظر إلى المعنى على أنّه أضعف مستويات اللّغة من حيث دراستها دراسة علميّة، حيث أنّ معنى اللّفظ والعبارة أو حتّى محاولة تحديده تحديدا علميا دقيقا ، يحتاج إلى معرفة ليست في متداول اللغويّين.

ولكن يمكننا القول بأنّ بلوم فيلد لا يقللّ من قيمة المعنى، بل قدّم منهجا أو نظريّة لدراسة المعنى هي النظريّة السلوكيّة ، وقد صرّح لأحد أصدقائه قبل وفاته بأربع سنوات برسالة يقول فيها:"من المؤلم أن يكون من الشائع أنّني أو أنّ مجموعة من اللّغويّين أنا من بينهم ، لم أعطي اهتماما للمعنى .... إنّه ليس أمرا شخصيّا ، إنّما هو حكم لو سمح بتطبيقه ، سوف يعوق تقدّم علمنا بوضع تضاد متوهّم بين الدّارسين الّذين يهتمّون بالمعنى والآخرين الّذين يهملونه أو يتجاهلونه ، الفريق الأخير –كما أعلم –غير موجود.[1]

كما ظهرت نظريّة لغويّة حديثة عرضت قيمة المكوّن الدّلالي إلى المكوّن النّحوي، رائد هذه النظريّة التوليديّة التحويليّة هو العالم الكبير أفرام نعوم تشومسكي " N.CHOMSKY " الّذي احتفى بالعقل أيّما احتفال ، وجعله المسؤول عن الملكة اللّغويّة ، ويرى بأنّ الإنسان يمتلك جهازا فطريا يسمى (الملكة اللّغويّة) ، أو ما يصطلح عليه بالكفاءة أو القدرة اللّغويّة الكامنة في العقل، وهو بذلك يرفض آراء بلوم فيلد وفلسفته القائمة على التّجربة و البرهان، ويرجع الفضل إلى كلّ من فودر و كاتز و بوستال " FODOR.KATZ.POSTAL " حينما أضافوا

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 34.

المكوّن الدّلالي إلى المكوّن الأساس النّحوي باعتباره مكمّلا مع القاعدة التوليديّة، وذلك على مستوى البنية العميقة.

ولا ننسى جهود جودمان " GOODMAN " وكوين " QUINE " اللّذان اهتمّا بإبراز دور المكوّن الدّلالي في مراحل النظرية الأولى، وعليه فإنّ التّمثيل الدّلالي أولى اهتماما كبيرا من الدّراسة في إطار هذه النظريّة.

يعلّق تشومسكي على الجملة الّتي قدّمها جون أوستين " J.AUSTIN " بأنّ درجة الحرارة منخفضة فهل هي منخفضة اليوم في المقابل أمس، أم هي منخفضة عمّا كانت عليه منذ خمس دقائق،وهذا التّعليق إنّما يبيّن عمق المعنى وصعوبة تحديده، ولا يمكن تحديده من خلال الظروف والملابسات الّتي يكون فيها المتكلّم والسامع، وهذه الصّعوبة أدركها تشومسكي كما أدركها قبله صاحب النظرية السلوكية بلوم فيلد.

الفصـــل الثالـث:الوحدة الدّلالية.

يشير البهنساوي بعد تطرّقه إلى كلّ من الدّراسة الدّلالية عند القدماء،والدّراسة الدّلالية في الدّرس اللّغوي الحديث إلى اختلاف العلماء في تحديد مفهوم الوحدة الدّلالية وحول المصطلح العلمي الدّقيق الواجب إطلاقه عليها، ويرى على حدّ تعبيره بأنّ مصطلح الوحدة الدّلالية المصطلح العلمي الأنسب على الرّغم من الصّعوبات الّتي تواجه ذلك.

لقد بيّن سويت " SWEET " أنّ الكلمات على نوعين: كلمات تامّة لها مقرّ مثل: شجرة، أزرق،يغنّي وكلمات من حيث الشّكل مثل: التّعريف والحروف هي: عن،على، وهي تنتمي إلى الجملة النحويّة أكثر من انتمائها إلى علم الدّلالة، وبذلك يذكر بالمر " PALMAR " بأنّه ليس على الإطلاق أنّ كلّ كلمة هي وحدة معرَّفة، كما يرى بوجود مشكلة بين الكلمات الواضحة والكلمات المبهمة الّتي لا يمكن تحديد معناها، ويخلص بالتّالي إلى أنّ:"الكلمة وحدة

طبيعيّة في علم الدّلالة، على الرّغم من أنّها مواتية تماما لصناعة المعجم، يمكن أن تقود إلى التخلّي عنها." [1]

وقد ورد تعريف الوحدة الدّلالية على أنّها هي: "الوحدة الصّغرى للمعنى، ومنها: أنّها تجمع من الملامح التمييزية، ومنها أنّها امتداد من الكلام يعكس تبيانا دلاليّا."[2]

كما توجد عدّة مستويات للوحدة الدّلالية على حدّ تعبير اللغوي نيدا " NIDA "، ابتداء من الصّوت إلى المورفيم، فالتّركيب، فالجملة، مع التّفريق بين نوعين من الوحدات، معجمية كانت أم دلاليّة، ولكن توجد بين وحدات دلاليّة أكثر شموليّة،حيث لا يفهم معناها إلّا من خلال ضمّ معانيها إلى بعضها، وتنقسم إلى ثلاثةأقسام:

1: التّعبيـر idioom.

2: التّركيب الموحَّد unitay complex .

3: التغيّر المركّب composite expression .

ويضيف البهنساوي بأنّه ثمّة وحدة دلاليّة أصغر من الكلمة ويُطلق عليها اسم المورفيمات المتّصلة،ومثالها في اللّغة العربيّة السّوابق مثل: دلالة الاستقبال في السّين، واللّواحق مثل الضّمائر المتّصلة لإفادة دلالة المتكلِّم أو المخاطَب أو الغائب، وثمّة وحدة دلاليّة تُعدّ أقلّ من مورفيم كدلالة الضمّة على المتكلِّم في قولنا: كتبتُ.

كما أنّ هناك فريقا آخرا غير الّذين ذكرناهم يرون بأنّ الجملة هي أهمّ وحدات المعنى،وحتّى أنّها أهمّ من الكلمة ، ويرون أنّه إذا انفصلت عن غيرها من الكلمات تفقد معناها، بل تكتسب هذا المعنى ويتحقّق وجودها الّتي ترد فيها داخل الجملة أو التّركيب، بالتّالي فمعنى أي كلمة داخل أي نصّ سنتبنّاه من خلال السياق الّذي وردت فيه داخل هذه الجملة أو النّص.

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 39.

[2] المرجع نفسه ، ص 42.

يرى البنيويون الوصفيّون ضرورة حفظ القواعد والتّراكيب عن علم الدّلالة فالعالم اللّغوي سابير يرى أنّ كلّ بنية شكليّة مستقلّة،كما أنّ العالم السّلوكي بلوم فيلد طلب وجود علمين أي (التّراكيب والدّلالة).

ويضيف البهنساوي بأنّ بالمر يرى معظم التّقليديّين يفرضون علاقة بين الدّلالة والتّركيب، ويرى بأنّه ممّن يقولون بوجهة نظر سابير، وذلك بوجوب التّفرقة بين علمي الدّلالة والتّركيب لعدّة اعتبارات هي:

– أصناف المعنى لا يمكن رسمها غالبا لغموضها، وهي بذلك إمّا تبدو تصنيفات دلاليّة واضحة لا يمكن تعريفها إلّا بموجب السّمات الشكلية للّغة.

– أو عند تحديد تصانيف دلالية بشكل مستقلّ فهي بذلك لا تتوافق، وعليه وجب تحديدها بشكل مستقلّ عن معانيها. [1]

أمّا علماء النظريّة التحويليّة حسب تعبير البهنساوي فقد أدركوا أهميّة المكوّن الدّلالي ضمن مكوّن النظريّة ، بحيث لم تعد مقصورة على التّركيب النّحوي وعلى هذا النّحو يصرّح تشومسكي بقوله: "إنّ هناك بنية عميقة نحويّة ، وأنّنا نستطيع في هذا المستوى بالذّات أن نربط الجمل المعلومة والمجهولة،والواقع فإنّ الفرق الوحيد بينهما ، يتحدّد بعدم وجود أو وجود العنصر مجهول" [2]

ويعقّب بالمر على هذه المقولة قائلا: "إنّ جزءا من النّحو معني بالقوانين التحويليّة الّتي تحوّل البنية العميقة.الّتي بنية سطحية،أمّا البنية العميقة فيولدها المكوّن الأساس الّذي يتألّف من المكوّن الصنفي والمعجم ، وتسمح المعلومات الموجودة في البنية العميقة بعمل شيئين:

1ـ نستطيع أن نولّد الأبنية السّطحية.

2 ـ باستطاعتنا أن نصل إلى علم الدّلالة من البنية العميقة بقوانين التّفسير الدّلالي.

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 43.

[2] المرجع نفسه ،ـ ص 43.

ونجد باحثين آخرين يذهبون إلى القول بأنه: إذا افترضنا وجود البنية العميقة فهي إذا أعمق بكثير في الواقع إلى حدّ أنّها دلاليّة وليست نحوية، وبهذا المفهوم يكون علم الدّلالة تفسيريّا، بل مصدرا فعليّا للنّحو إنّه توليدي.

ولعلّ هذا الّذي يقول به بالمر بأنّ علم الدّلالة أو بالأحرى المكوّن الدّلالي هو فعلا المكوّن الأساسي التوليدي.[1]

وعليه خلص في الأخير البهنساوي إلى أنّ علم الدّلالة هو ذلك العلم الّذي يدرس المعنى سواء على مستوى الصّوت أو المورفيم أو على مستوى الكلمة المفردة أو على مستوى الجملة والتّركيب وحتّى المعنى.[2]

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 44.

[2] ينظر المرجع نفسه ص 45.

النظريّات الدّلالية الحـديثـة:

شمل الباب الثّاني سبعة فصول، وذلك بالتطرّق إلى كلّ النظريّات الدّلالية الحديثة، كلّ واحدة على حدة، فتطرّق البهنساوي إلى النظريّات الإشاريّة والتصويرية في فصلها الأول، والسلوكيّة في فصله الثّاني،نظريّة السيّاق في الفصل الثّالث، نظريّة الحقول والرّسائل اللّغويّة عند العلماء العرب في فصليه الرّابع والخامس، نظريّة التّحليل التكويني في الفصل السّادس،وأخيرا ضمن فصله السّابع نظريّة العلاقات الدّلالية.

وهو بذلك يرى بأنّ تعدّد وتنوّع هذه النظريّات ترجع بالأساس إلى اختلاف وجهات نظر أصحابها، واختلاف منطلقاتهم الفكريّة وأسسهم المنهجيّة.

وصحيح بأنّ بعضهم يمثّل منهجا تقليديّا،لكنّ بعضها الآخر يمثّل انطلاقة حقيقيّة ورؤية علميّة في إطار المنهجيّة العلميّة للنظريّة، وفي إطار المنهجيّة السياسيّة والاجتماعيّة من جهة،والسلوكيّة من جهة أخرى، دون أن نغفل الإطار العقلي عند أتباع النظريّة التّوليديّة من جهة رابعة، أو نظريّة من النظريّات الدّلالية الحديثة، كنظريّة الحقول الدّلالية والعلاقات الدّلالية ونظريّة التّحليل التّكويني وغيرها.

الفـصـل الأوّل: النظريّتان لإشاريّة و التصويريّة.

أوّلا: النظريّة الإشاريّة: يشير البهنساوي في فصله الأولى إلى العالمان أورجدن وريتشارد باعتبارهما مؤسّسا هذه النظريّة،وأشهر من أولاها اهتماما من خلال كتابهما: معنى المعنى من خلال المثلث المعروف.

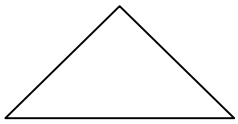

إنّ هذه الأطراف الثّلاثة تمثّل عناصر المعنى ، و يرى العالمان أنّ الكلمة عبارة عن جزأين هما: الصّيغة المرتبطة بالوظيفة الرمزيّة، ومحتوى مرتبط بالفكر أو المرجع،وأنّ العلاقة هي علاقة عرضيّة بينما العلاقة بين الفكرة والشّيء فإنّها قد تكون علاقة مباشرة، فحين نفكّر في شيء كالألوان حين تراها أو علاقة غير مباشرة ،حين نفكّر في شخصية لم ترها مثل: نابليون بونابرت.

كما لا يشرط علماء هذه النظريّة أن يكون المشار إليه شيئا محسوسا قابلا للملاحظة ، بل أن يكون المشار إليه مجرّد حدث، أو فكرة أو كيفية ، ولكن في هذه الكيفيّة لابد من ملاحظة ما يشير إليه اللّفظ لأنّ كلّ الكلمات تحمل معان، لأنّهما تمثّل أشياء غير ألفاظها أو أشكالها.

المآخذ على النظريّة الإشاريّة:

1ـ دراستها للظّواهر اللّغويّة خارج إطار اللّغة.

2 ـ اعتمادها على دراسة الموجودات الخارجية ممّا يمثّل صعوبة لعدم المقدرة على الإحاطة الدّقيقة بكلّ هذه الأشياء.

3 ـ إهمال الكثير من الكلمات الشائعة في جميع اللّغات ، الكلمات الّتي لا تشير إلى شيء موجود مثل الحروف والأدوات: الباء، إلى،عن، لكن .... إلخ.

4 – معاني الأشياء ليست ذواتها، فالمعاني مرجعها العقول وذاتها بين المحتوى والمجرّد.[1]

ثانيا:النّظرية التصويريّة.

ترجع أصولها إلى النظريّات الكلاسيكيّة والأفكار العقليّة للفيلسوف جون لوك " J.LOCKE " الّذي يقول:استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحسّاسة إلى الأفكار الّتي تمثّلها، تُعدّ مغزاها المباشر الخاصّ[2]،حيث ترى هذه النظريّة أنّ اللّغة وسيلة وأداة لتوصيل الأفكار؛ فهي تمثيل خارجي ومعنوي لحالة داخليّة،وتشترط ضرورة حضور الفكرة في ذهن المتكلّم، و أن التّعبير لدى هذا الأخير يستدعى ذات الفكرة عند المستمع.

المآخذ عن النظريّة التصويرية.

1 ـ تركيز أنصار النظرية على الأفكار في عقول المتكلمين والسامعين بهدف تحديد معنى الكلمة.

2 ـ كلمات كثيرة في اللّغة تفتقر إلى التصوّر،وبالتّالي لا نستطيع أن نكوّن لها صورة ذهنيّة.[3]

الفصل الثّــاني:النظرية السلوكية Behavioral theory

يتحدّث حسام البهنساوي في فصله الثّاني في بابه الثّاني عن النظريّة السلوكيّة أو ما يُطلق عليها بالنظريّة النّفسيّة،رائدها بلوم فيلد bloom field،تأسّست هذه النظريّة على رفضها للعقل وركّزت كثيرا على الملاحظة من خلال التجربة، ولم تعوّل أبدا على الفكرة كما شاع في النظريّتين السابقتين (الإشاريّة و التصويريّة)، تأثّر رائدها بعلماء النّفس المعاصرين والّذين سبقوه أمثال: واطسون watsonو فايسweiss، وركّز في دراسته اللّغة، ويمكن حصر أسس هذه النظريّة فيما يلي:

[1].ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 53.
[2]ينظر المرجع نفسه ، ص 54.
[3] ينظر المرجع نفسه ، ص 55.

1:الميكانيكيّة الفـزيـائيّة:mechanic physicalism

العلم يتناول الأحداث الّتي يمكن التوصّل إليها بالملاحظة في زمانها ومكانها (وهذه هي الميكانيكية) لتؤدّي إلى عملته محدّدة يُطلق عليها الإجراءات الكشفيّة، يمكن استنتاجها بتحديد مجموعة من الحدود الّتي تحدث فيزيائيّا (وهذه من الفيزياء)[1]

2: نـموذج الإشـارة والاستجابة:stimulus response

كلّ سلوك يتبعه ردّ فعل، يأتي هذا المصطلح للتّعبير في الوقت الكلامي عند بلوم فيلد،ويجب أن تكون الإشارة خارجيّة، أمّا إذا كانت نفسيّة فإنّه لا يعتدّ بيها، يمكنه توضيح ذلك باعتبار الّذي قدّمه بلوم فيلد نفسه عن جاك وجيل:

مثير أصلي أو عقلي (خارجي) ⟵ رد فعلي لغوي ... مثير لغوي ⟵ رد فعل علمي

وهذا النّموذج يتألّف من ثلاثة أجزاء:

- المثيرات الخارجيّة (الأصليّة) وهي مرحلة سابقة عن الكلام أدّى الحدث العقلي اللّغوي إلى:
- الاستجابة الكلامية أو رد الفعل اللغوي.
- الاستجابة العملية أو ردّ الفعل العملي.[2]

فرؤية الطّفلة جيل للتّفاحة يمثّل خارجيّا أدّى إلى إحساسها بالجوع، فعل لغوي عندما طلبت من أخيها إعطائها التّفاحة وهي مرحلة لغويّة تمثّل أحداث منطوقة.

وتخرج بذلك الرّسالة اللّغويّة عبر الهواء في صورة ذبذبات لتصل إلى الأذن أخيرا، فتعبر بذلك مثيرا لغويّا ويقوم هو بردّ فعل عملي ويحصل على التفاحة ويقدّمها لها، وذلك بعد أن يترجمها

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 59.
[2] ينظر المرجع نفسه ، ص 60.

ويستوعبها وذلك يعرض عليه اللغويّين في هذا النموذج هي الأحداث اللّغويّة سواء كانت في مرحلة الإشارة اللّغويّة ، أو مرحلة الإثارة اللّغوية ، أو مرحلة ردّ الفعل اللّغوي.

3: رفض العقلية أو الذهنية:antimentalism

ركّز بلوم فيلد وأتباعه على الجانب المادّي للّغة ومن ثمّ فقد أهملوا المستوى الدّلالي غير المادي والغير محسوس لديهم غير قابل للملاحظة،وإذا كان بلوم فيد يحترز في قبول الفعل أو القول بتغيّر اللّغة والدّلالة تفسيرا عقليّا وذلك بالرّجوع إلى منهجه، ولكنّه لا يخرج العقل كليّة من دراسة المعنى، بل يعترف بإمكان الإفادة من المعطيات العقليّة أو الذهنيّة لكنّه لا يدعوا إلى التعويل عليها تعويلا علميّا يطمئن إليه ، نظرا لصعوبتها، وعليه فهو لم يشأ أن يستروح بمبادئها أو قواعدها.[1]

المـآخذ على النظريّة السلوكيّة:

1 ـ إهمالها للغالبية الكبرى من كلمات اللّغة الّتي يصعب أو يستحيل إجراء تجارب عليها ، نظرا لطبيعتها كالكلمات المجرّدة مثل: الحسن والقبح وغيرها من الكلمات المعبِّرة عن الأفكار والاتّجاهات مثل: الحبّ والكراهيّة.

2 ـ أثبتت التّجارب الّتي أجراها السلوكيّون أنّها ليست دقيقة في تحليل الأحداث اللّغويّة ،كما أنّ الإجراءات الكشفية لم تصل إلى النتائج المرجوّة ، ولعل توصل العالم اللغوي تشومسكي إلى نتيجة سلبية بعد ممارسة العمل طوال ست سنوات عن النظريّة السلوكيّة علي يد أستاذه زيليج هاريس " Z.HARRIS " لخير دليل بعدم الحصول على الفائدة المرجوّة. [2]

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 62.

[2] المرجع نفسه، ص 63.

الفـصـل الثـّالـث: نظرية السياق:Context theory

تحدث البهنساوي في فصله الثّالث عن نظريّة السيّاق وعن رائدها فيرث Firth الّذي يُعتبر أيضا رائدا للمدرسة الاجتماعيّة لدراسة اللّغة في إنكلترا، بحيث يرى فيرث بأنّ المعنى لا يتجلّى ولا يتّضح إلّا من السياق والمواقف الّذي يرد فيه،حتّى وإن كان هذا الموقف غير لغوي، كما يرى بأنّ معظم الوحدات الدّلاليّة تقع في مجاورة وحدات أخرى،وأنّ معانيها لا يمكن تحديدها إلّا بملاحظة الوحدات المجاورة لها، كما ارتبطت هذه النّظريّة بمجموعة من العلماء نذكر منهم:سينكلار sinklair، ميتشل mitchel، وهاليداي haliday ، وحسبهم فإنّ السياقات هي:

1: السّيـــاق اللّـغـوي :linguistics context

نظريّة السّياق تُعدّ خطوة تمهيدية للمنهج التّحليلي حسب أولمان الّذي يرى بأنّ على المعجمي أن يلاحظ كلّ كلمة في سياقها، ثمّ يجمع هذه السياقات ليحصل على المعاني، وبذلك تنفتح الطّريق أمامه للمنهج التّحليلي وللتّمثيل عن كيفيّة عمل السياق نورد المثال التّالي:

كلمة حسن: يمكن أن تقع في سياقات لغويّة متنوّعة باعتبارها صفة، فإذا أوردت كلمة حسن مع كلمة رجل: فإنّها تفيد وصفا خلقيّا في قولنا رجل حسن، أمّا إذا وردت مع كلمة طبيب ، فإنّها تفيد وصفا آخر للدّلالة على المهارة والتفوق.

السّياق اللّغوي حسب ما يذكر أولمان هو السيّاق الأمثل لدراسة المعنى مع اعتبار الوصف، وقد عرّفه هذا الأخير بقوله:"هو الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة" [1]

ويضرب مثالا على ذلك في:كلمة منصهر ترتبط مع مجموعة من الكلمات (حديد،نحاس،ذهب) ولا ترتبط مع كلمة جلد لأنّ الأولى تشترك برابط الصلابة والبريق والبرودة..إلخ ، بينما الجلد تربطه صفة اللّيونة.

[1] ينظر علم الدلالة والنظريّات العلمية الحديثة ـ حسام البهنساوي ص 67.

وقد ميّز فيرث بين نوعين من الرصف:

1 ـ الرصف العادي: الّذي يشيع بكثرة في أنواع مختلفة من الكلام.

2 ـ الرصف الغير العادي:موجود في بعض الأساليب الخاصة وعند بعض الكتاب المعنيين.[1]

ومن مميّزات الاتجاه الرصفي ما يلي:

- تحديد التغيّرات بحيث أنّ المجتمع الّذي تتوافق فيه ألفاظ معيّنة يُعتبر وحدة معجميّة.
- تحديد مجالات التّرابط والانتظام لكلّ كلمة.
- يتسم الاتجاه الوصفي بالدقة لأنه أكثر دقة وقابل للملاحظة

2 السـياق العـاطفـي: Emotional context:

هو الّذي يحدّد درجة الانفعال قوّة وضعفا وما يتبعه من دلالات التأكّد والمبالغة والاعتدال ومثال ذلك كلمتي الحبّ والعشق في اللّغة العربية ، تشتركان في دلالة أصليّة،وتختلفان في هوامشها الدّلاليّة،وبنيتهما اللّغويّة وهو نفس الحال بالنّسبة لكلمتي الكراهية والبغض، تشتركان دلاليّا غير أنّهما مختلفتان بنيويّا من جهة وفي الإيحاءات الهوامش الدّلاليّة من جهة أخرى.[2]

3: سـياق المـوقـف: :situation context

أو ما يُعرف بالسيّاق المقامي أو سياق الحال، أو السيّاق الخارج عن النص وتردفه لكلمة في مقامات مختلفة ومن ثمّ تتنوّع المعاني والدّلالات، ومثال ذلك كلمة: " مكتوب " فدلالتها الأصليّة شيء تمت كتابته وتحمل دلالة أخرى وهي مكتوب على الجبين دلالة على معنى القدر وأحكامه

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة ص 69.
[2] ينظر المرجع نفسه ، ص 71.

الّتي لا دخل للإنسان فيه، وهناك أمثلة كثيرة تفيد فيها كلمة دلالات مقاميّة، وذلك وفقا للسياق أو المقام الّذي وردت فيها.

4: السـيـاق الثـقـافي culturel context:

الكلمة يمتدّ معناها في ضوء المتنوّعات الثقافيّة ، فمثلا وجود جماعة من المثقّفين وأخرى من الأثرياء وهذا حسب تنوّعهم بحسب المهن الّتي يزاولونها، فكلّ جماعة من هؤلاء تؤثّر على دلالة الكلمة الواحدة ، فكلمة عقيلة مثلا: تفيد دلالة الزوجة في طبقة الأثرياء وذوي المكانة ، وكلمة حرم: تفيد معنى الزّوجة عند طبقة المثقّفين ، بينما يطلق طبقة العامّة لفظة: المرأة وأمّ الأولاد على ما يفيد الزوجة.[1]

الفـصـل الرّابـع: نظريّة الحقول الدّلالية :semantic fields

تحدث البهنساوي في فصله الرّابع عن نظريّة الحقول الدّلالية،ويذكر بأنّ ظهورها كان في القرن العشرين واكتملت مع مطلع الثلاثينيّات، كما أنّها من النظريّات الحديثة،وتطوّرت أفكارها مع علماء اللّغة السويسريّين والألمان منهم:جسبن " jaspin " 1924م، وبروزيج " prozeg "1934م، حيث قامت على دراسة الألفاظ الفكريّة في اللّغة الألمانية الوسيطة.

اهتمّ علماء الأنثروبولوجيا الأمريكان بعمل دراسة تطبيقيّة حول فكرة الحقول الدّلالية في:النبات،الحيوان. إلخ، أمّا في فرنسا فقد اهتمّ العلماء بدراسة الدّلالة التّركيبيّة،وكان تركيز العالم ماتور matore على دراسة الحقول الّتي تتغيّر ألفاظها إلى دلالات أخرى.

مفهوم النظريّة: يعرّفها أولمان ulmann بقوله:"هو قطاع من المادّة اللّغويّة،ويعبّر عن مجال صغير من الخبرة"ويعرّفه جونليونزJ.lyones بقوله: "فإنّه مجموعة جزئيّة لمفردات اللّغة." [2]

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة ، ص 72.

[2] ينظر المرجع نفسه ص ، ص 74.

وترى هذه النظريّة بأنّه لا يتمّ فهم معنى الكلمة وكذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليّا، ولهذا حدّد علماء هذه النّظرية مجموعة من الأسس ينبغي مراعاتها وهي:

1: الوحدة المعجمية LEXEM

2: الوحدة المعجمية لا تنتمي إلى حقل معيّن.

3: السياق الّذي ترد فيه الكلمة لا يصحّ إغفاله.

4: التّركيب اللّغوي مهم جدّا لدراسة أي مفردة.

وقد وسّع بعضهم مفهوم الحقل الدّلالي ليشمل على الأنواع التّالية:

1: الترادف والتضاد وكان جولز " jolls " أوّل من اعتبرها من الحقول الدّلالية.

2: الأوزان الاشتقاقية أو ما يطلق عليها باسم الحقول الدّلالية الصرفية.

3: التصبغات النحوية وأفراد الكلام.

4 الحقول النحوية الّتي تشمل الكلمات الّتي تترابط بالاستعمال ولا تقع في نفس الموقع النحوي

وكل ما يخلص هذا، يعتبر التصنيف الّذي اقترحه معجم creak new testament على اعتبار أنه الأمثل والأكثر منطقية، حيث قام على تقسيم الأصناف إلى أربعة أقسام وهي:

1/ الموجودات، 2/ الأحداث، 3/ المجردات، 4/ العلاقات.[1]

العلاقات داخل الحقل المعجمي: أي مكان الكلمة في نظام العلاقات الّتي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللّغويّة كما يرى جون ليونزJ.lyones بأن معنى الكلمة هو محصلة

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 76.

علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي،[1] ويحدد علماء الحقول الدّلالية أنواع العلاقات داخل كل حقل معجمي فيما يلي:

1: **الترادف** Synonymy: وهو يتحقق حينما يوجد تضمّن بين الجاذبين ولكي يكون أ-ب مترادفين يجب أن يتضمن كل منهما الآخر مثل كلمة أم – والدة،أب-ولد،أخ-شقيق.

2: **الاشتمال أو التضمن** Hyponymy: تعدّ هذه العلاقة من أهمّ العلاقات في علم الدّلالة التّركيبي وهو يعد تضمنا من طرف واحد بحيث أ يشتمل ب و ب يكون أعلى في التقسم التصريفي مثل لفظة فرس تنتمي إلى فصيلة أعلى هي حيوان ومن ثم كلمة فرس يتضمن معناها كلمة حيوان.

3 ـ **علاقة الجزء بالكل** Part wole relation: ومثال هذه العلاقة بين كلمة اليد وكلمة الجسم وكذا العلاقة بين كلمة العجلة وكلمة السيّارة،والفرق بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال واضحة فاليد ليست نوعا من الجسم بل جزء منه، ولكنّها جزء منه بخلاف الإنسان الّذي هو نوع من الحيوان وليس جزءا منه.

4 ـ **التّضاد** Antonymy: بالنّسبة لعلاقة التضاد فمنه أنواع متعددة لها مثل:

التّضاد الحاد مثل:حي،ميّت،متزوج، أعزب، ذكر، أنثى

التّضاد المتدرج مثل:حار، بارد

العكس: وهو علاقة بين أزواج الكلمات مثل: باع -اشترى، زوج – زوجة

التضاد الاتجاهي:مثل: أعلى – أسفل، يصل – يغادر

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة ص 79.

التضاد العمودي ومنه التقابلي والامتدادي: ويمثل للأول كلمة الشمال بالنسبة للشرق والغرب حيث يقع الشمال عموديا عليها ويمثل للثاني بكلمة الشمال للجنوب والشرق بالنسبة للغرب

5 ـ **التـنـافـر** Incompatibility: هي العلاقة المرتبطة بالنفي وتحقق داخل الحقل المعجمي حين أ – ب لا يشتمل أحدهما للأخر على علاقة تضمن مثل: كلب – قط، فرس–خروف.

تتجلى قيمة نظريّة الحقول الدّلالية في الكشف عن العلاقات وأوجه التشابه والخلاف بين الكلمات الّتي تنضوي تحت حقل معين، وبينهما وبين المصطلح العام الّذي يجمعهما.[1]

الفـصـل الـخامـس:نظريّة الحقول الدّلالية والرّسائل اللّغويّة عند العلماء العرب.

يتحدث حسام البهنساوي في هذا الفصل من نظريّة الحقل الدّلالية والرسائل اللّغويّة عند العرب، ويعتبرها بمختلف أنواعها إحدى صور التأليف المعجمي، بل إنها تمثل البدايات، رغبة منهم في جميع المادة اللّغويّة، ورغم صغرها وحصير لمجال ألفاظها إلا أنها شهدت تطورا كبيرا، وبذلك أصبحت منهجا وأسلوبا وساهمت في ظهور معاجم الموضوعات ولعل أكبر هذه المعاجم (معجم المخصص) لابن سيدة الأندلسي (ت 485) [2]

تعتبر الرسالتان اللّغويتان بعنوان (كتاب الأمل) وكتاب الخيل لمؤلفيهما عبد المالك بن قريب (ت 216) بحق من الرسائل الّتي تعد من التأليف المعجمي في إطار الحقول الدّلالية يعد من الأوائل الّذين كتبوا في هذا المجال حيث نسب كتاب الإبل إلى الحقل الدّلالي، الموجوداتالّذي يتفرع إلى حقل الحيوانات ويتفرع بدوره غلي أنواعها الأليفة ألا وهو حقل الإبل وألوانها وبعض القصص عن السيّاقات المشهورة الخاصة بالخيل.[3]

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 82.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص 85.

[3] ينظر المرجع نفسه ،ص 86.

هناك حقل ثالث ألف فيه الأعجمي كتابا بعنوان (الشتاء) و رابعا بعنوان (الوحوش) و خامسا بعنوان (الفرق) وغنى فيه بذكر الفرق بين الإنسان و الحيوان في تسمية أعضاء الجسم في كلّ منهما ،أما الحقل السادس الّذي ألف فيه كتابه : خلق الإنسان ،وخصصه في هذا الحقل الفردي: الإنسان ،المتفرع عن الحقل الأصلي : الموجودات الحية حيث تحدث عن أعضاءه مبتدئ بالرأس منتهيا بالقدم ،وعلى شكله ألف كل من نأبة بن أبي ثابت و اللغوي أبو إسحاق إبراهيم و غيرهم في هذا الحقل الفرعي الخاص بالإنسان وخلق الإنسان ،كما خصص الأعجمي كتابا عنونه بـ النبات و الشجر و خصصه لذكر النباتات المعروفة عند العرب . [1]

وقد جاءت مجموعة من الرسائل اللّغويّة تحت عنوان الأصداء على اعتبار أن العلماء عدوه من الحقول الدّلالية، أول من ألف في هذا الحقل اللغوي هو الأصمعي حيث ينشر له أوجست هفنر كتابا له بعنوان (الأضداد)، وقد ألف هذا الكتاب مجموعة من العلماء نذكر منهم: مُحَمَّد بن المستنير الملقب بقطرب (ت 206 هـ) وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (ت 244 هـ)، وأبو بكر مُحَمَّد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت 327 هـ) ...إلخ.

كما تمّ تأليف مجموعة من الرّسائل في حقل المشترك اللفظي باعتباره حقلا دلاليا، ولعل رائدهم في هذا المجال هو: أبو الطيب اللغوي في كتابه (شجر البرقي تداخل الكلام بالمعاني المختلفة)ولحقه في هذا المجال من التأليف مُحَمَّد بن يوسف التهيمي، كما سبقه زاهد المطرز وقد اعتمد اللغويين الثلاثة في مؤلفاتهم على التوليد والترابط بين ألفاظ المشترك اللفظي فهم بذلك يذكرون اللفظة الأولى ويغيرونها بالثانية .... إلى غاية نهاية الشجرة [2]

كما خصّص علماء العرب مؤلفات في نوع آخر وهي كتب الإتباع وهي عبارة عن تأكيد الكلمة بضم كلمة أخرى إليها لا مقر لها، غير أنها تساويها في الصيغة والقافية وكل ذلك بغرض

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة ، ص 89.
[2] ينظر المرجع نفسه ، ص 93.

الزّينة وتأكيد المعنى، ويعدّ أبو الطيب اللّغوي أوّل من كتب في هذا الحقل في رسالة له بعنوان (كتاب الإتباع) وقد ألف أحمد بن فارس كتابا بعنوان (الإتباع والمزاوجة)[1]

ولقد قسّم اللّغويين الإتباع والكناية بحسب معناها إلى ثلاثة أنواع وهي:

1 ـ كلمة الإتباع لها معنا واضحا يدرك بسهولة مثل قولهم: هنيئا مريئا

2 ـ كلمة الإتباع لا معنى لها ولا تستخدم وحدها مثل قولهم: شيطان ليطان، حسن بسن

3 ـ كلمة الإتباع لها معنا مستخرج من كلمة الأولى مثل قولهم: خبيث نبيث

ومن أمثلة المزاوجة في قولهم في جواب من قال هات: لا أهاتيك ولا أواتيك وقولهم:ما عنده غيض ولا فيض.

ولم تقتصر حركة التأليف اللغوي العربي في تصنيف مؤلفيها لرسائلهم على النحو الّذي جاء متطابقا مع التّصنيف المنهجي لنظريّة الحقول الدّلالية بأنواعها وأنماطها المفردة، بل نجد فريقا من علمائنا العرب وقد توجهت اهتماماتهم إلى التّأليف المعجمي وجمع الثروة اللّفظية وتصنيفها بحسب موضوعاتها الاستعمالية ، وهذا يؤكّد لنا بأن المنهج المتبع هو منهج التّرتيب الموضوعي للمادة اللّغويّة، إنما هو ترتيب وفق الحقول الدّلالية وأنواعها المختلفة.[2]

ويأتي في مقدمة المعاجم الّتي ألفت الترتيب الموضوعي كتاب (الغريب المصنّف) لأبي عبد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) حيث وزعه على الحقول الدّلالية رئيسية جعل كل حقل منها تحت عنوان عام الحقل الرئيسي،وجملة هذه الحقول الرئيسية عنده هي خمسة وعشرون حقلا، أطلق عليها اسم: كتاب وهي:

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة ، ص 95.
[2] ينظر المرجع نفسه ، ص 97.

1 ـ كتاب خلق الإنسان (يمثل حقل الموجودات الحية الرئيسي،وحقل الإنسان الفرعي)

2 ـ كتاب النساء (يمثّل حقل الموجودات لنوعيها الرئيسي،وحقول فرعية لأنواع المذكر والمؤنث)

3 ـ كتاب اللّباس (يمثّل حقل الموجودات غير الحية الرئيسي،وحقل اللّباس الفرعي)

... وهكذا إلى غاية:

4 ـ كتاب السّباع (يمثل حقل الموجودات الحية الرئيسي، وحقول فرعية لحيوان السبع المفترس وأنواعه)

5 ـ كتاب الأجناس (يمثل حقل الموجودات بنوعيها الرئيسي، وحقول فرعية لأنواع المذكر والمؤنث

وقد ألّف على هذا المنوال من التأليف المعجمي كل من : عبد الرحمان بن عيسى الهمذاني (ت 320هـ) بعنوان (الألفاظ الكتابية)،قدامة بن جعفر(ت 337 هـ) كتاب بعنوان (جواهر الألفاظ)و كذا كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء،لأبي هلال العسكري(ت 359 هـ).كتاب (مبادئ اللّغة)لأبي عبد الله الإسكافي (ت 421 هـ) ، و ممّا يلفت النظر في هذا الكتاب أنّ الإسكافي كان يفسّر بعض الكلمات العربية بالكلمات فارسية الأصل ومثال ذلك قوله :(المسح : البلاس و جمعة ،أمساح و مسوح) كتاب (فقه اللّغة و سرّ العربية) لأبي منصور عبد المالك بن مُحَمَّد ابن إسماعيل الثعالبي (ت 453 هـ) فهو أكبر هذه المعاجم الّتي رتبها أصحابها ترتيبا موضوعيا حيث يذكر بأنّه (أجدى على الفصيح المدره و البليغ المفوّه ، و الخطيب المصقع ، و الشاعر المجيد و المدقع،فإذا كانت للمسمى أسماء كثيرة و للموصوف أوصاف عديدة ،تنقى الخطيب و الشاعر ما شاء واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع وقافية. [1]

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة ، ص 103.

وعليه يجب التوضيح بأنّ العلماء العرب في مؤلفاتهم السابقة على كثرتها من رسائل و معاجم جاءت جميعا في إطار تلك الآلية الحديثة للتصنيف في ضوء نظريّة الحقول الدّلالية،فإنّ العلماء العرب لم يكونوا في زمانهم يعمدون إلى هذا التقسيم المنهجي و التصنيف الحقلي ، وإنما تدلّ أعمالهم وماسلكته من تأليف للموضوعات على حضور هذه الآلية في أذهانهم بدليل ما وقعنا عليه في مؤلفات الموضوعات الّتي اشتملت على : الباب الرئيسي و أبواب و فصول أو مطالب جزئية وهي على هذا المنوال تعد من قبيل الحقول الدّلالية الرئيسية وما يتفرع عنها من حقول فرعية.

وعليه يمكن القول بأنّ العلماء العرب لهم فضل السّبق في التفكير في هذا النوع من التّأليف المعجمي حيث يمتد هذا التأليف إلى بداية القرن الثالث الهجري، أي قبل بدايات التفكير في الدّراسات اللّغويّة في أوربا فهذا المجال بقرون طويلة مع إمكانية الأخذ عليهاب:

1 ـ عدم إتباعهم منهج معيّن في جميع الألفاظ والمفردات في هذا المجال.

2 ـ عدم المنطقية أحيانا في تصنيف الموضوعات وتبويبها .

3 ـ عدم اهتمام العلماء العرب بتوضيح العلاقات بين الكلمات داخل الموضوع الواحد (الحقل الواحد).

4 ـ قصور هذه الرسائل والمؤلفات في عصر جميع المفردات حتّى في المتناثرة منها [1].

هذا ما توصل إليه البهنساوي كخلاصة لنهاية فصله الخامس بعنوان نظريّة الحقول الدّلالية والرسائل اللّغويّة عند العلماء العرب وذلك بحصولهم على فضل السّبق وحضور الآلية في الأذهان لكن بمآخذ حالت دون تأصل أسسها وتبلور أفكارها.

الفصـــل الســادس:نظريّة التـحليل التـكويـني Formative analysistheory

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 104.

تناول البهنساوي في فصله السادس بالحديث عن نظريّة التحليل التكويني القائمة أساسا على دراسة دلالات ومعاني الكلمات بصورة متدرجة على النحو الآتي:

1-بيان العلاقات بين معاني كل حقل وتحليل ومكوناته.

2-تحليل كلمات المشترك اللفظي إلى معانيها ومكوناتها.

3-تحليل المعنى الواحد إلى عناصره التكوينية المتميزة.

وقد تمّ الحديث عن النوع الأول مع ذكر أمثلة عن الحقول الدّلالية بأنماطها وأنواعها المختلفة.

تحليل كلمات المشترك اللّفظي إلى مكوناتها المتعددة:

تقوم نظريّة كل من كاتزKatz وفودورFodor باعتبارها نظريّة تحليلية للمشترك اللّفظي على تشجير كل معنى من معاني الكلمة وتقسيمها إلى عناصر مرتبّة يسهل لها بأن تتقدم من العام إلى الخاص ، فالانتقال يكون عن طريق تتبع المحدّد النّحوي إلى المحدّد الدّلالي إلى المميّز إلى غاية تحقيق العدد الضروري من الشرح والتوصيف.

ويبين الرّسم الشجري التالي (المعدل عن الطريقة الأولى) الّتي استخدم فيها كلمة: bachelar التي تعطيها المعاجم الإنجليزية المعاني التالية:

1-فارس صغير يخدم تحت فارس آخر

2-الأعزب (الّذي لم يتزوج)

3-حيوان بحري معين بدون أنثاه خلال فترة الإخصاب [1]

الرسم التجريبي لتحليل المشترك اللّفظي لكلمة:Beachlar

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 106.

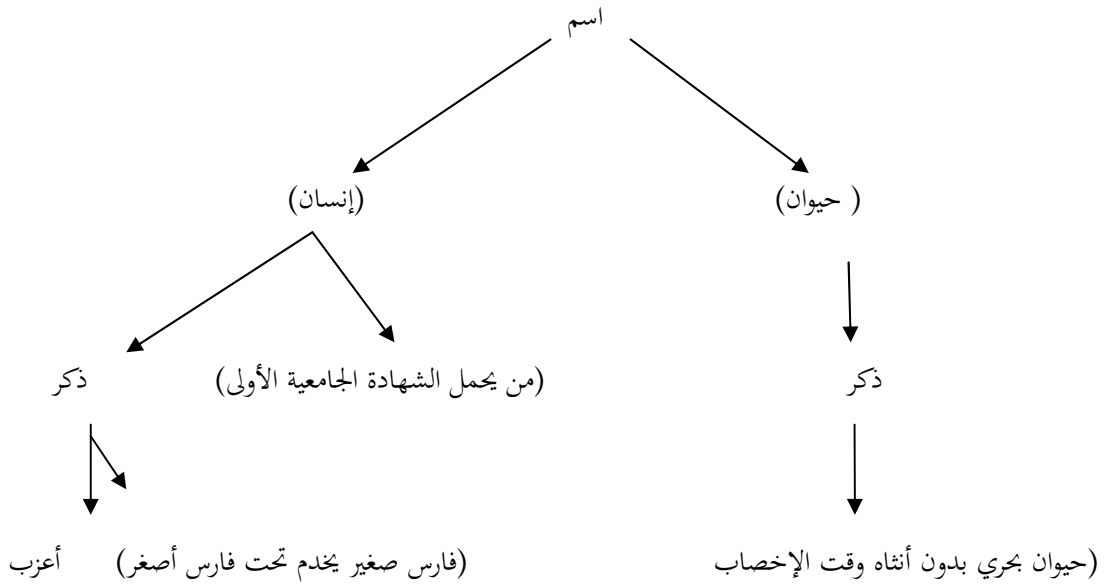

وقد ميزّا هنا في هذا التحليل 3 أنواع من العناصر أو المكوّنات وهي:

1) **المحدّد النّحوي**: هو الّذي يحدد قسم الكلام الّذي ينتمي إليه اللّفظ وقد سمّاه Syatactic marker وهو ما كان خارج الأقواس: كلمة اسم وقد عداه عنصرا غير أساسي.
2) **المحدد الدّلالي**: وهو مكان موضوعا بين قوسين هلالين وهو عنصر يمكن أن يوجد في أماكن أخرى من المعجم لأنه عنصر عام يشترك يبن الوحدات معجمية أساسية (Lexemes في مقابل الوحدة الصرفية والدّلالية)
3) **المميز**: وهو ما كان موضوعا بين القوسين معقوفين وهو عنصر خاص بمعنى معين ويقع – دائما–في آخر السلسلة ولا يوجد في أماكن أخرى من المعجم (إلا في حالة الترادف فقط)، ومن الملاحظ أنه لا يمكن لأحد معاني الكلمة أن يملك نفس معاني العناصر أو المكوّنات الّتي يملكها معنى أخر لها [1]

تحـليل المعنى إلى عنـاصره الّتي يتـكوّن منهـا:

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 107

تأتي مرحلة تحليل المعنى إلى عناصره التكوينية بعد الانتهاء من تحديد الحقول الدّلالية ويرى بعض العلماء أن مرحلة التميز هذه إنّما هي امتداد الحقول الدّلالية، و أنّ هذا التحليل يضع نظريّة الحقول في طريقها الثابت و يرى البعض الآخر أن مرحلة التحليل يمكن أن تتّم دون الاعتماد على الحقول المعجمية ، ويرى علماء آخرون أنه يمكن ربط الصلة بين النظريّة الحقول و نظريّة التحليل التكويني من جهة وبين نظريّةالفونيم و تحليل عناصر الفونيم التكوينية ،أو صلاحه التميزية من جهة أخرى و كان كل من يلمسلفHyelmeselev و جاكبسون Jacobson من أوائل من طبقوا التحليل الفونولوجي عن التحليل الدّلالي و ذكر بأن القواعد الّتي قدمها زميلهم تروبتسكويTrubetzkoy في التحليلات الفونولوجية : يمكن بل يجب أن تمتد إلى كل من النحو و الدّلالة[1]

مجالات تطبيق نظريّة التحليل التكويني:

نظريّة التحليل التكويني تستخدم في تحديد الملامح التمييزية الّتي تمدنا بالمعلومات من ألفاظ ومعناها في حقول دلالية على اختلاف أنواعها.

أولا: الكـلـمات المـجازيـة:

يمكن تضييق المعنى أو توسيعه عن طريق إضافة ملامح أو حذفها،ومعنى الكلمة في إطار هذه النظريّة يتضح في ضوء مجموعة الملامح التمييزية زادت أفراده وهذا الملامح قلّت أفرادها والعكس صحيح،إذا قلّت الملامح التمييزية زادت أفرادها وهذا التوسيع والتضييق للمعنى هو ما يطلق عليه المجاز [2]

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 112.

[2] ينظر المرجع نفسه ص 114.

ونضرب مثالا على ذلك بقولنا، صحيفة فهي تحمل ملامح تمييزية مثل:الطبع،نقل الأخبار، الصدور فإن أسقطنا وأزلنا الملمح الأول الذي هو الطّبع على الورق يمكننا القول بأنها صحيفة الهواء وبالتالي إسقاط أحد الملامح يؤدي إلى ظهور نوع جديد من المجاز ينتقل من العام إلى الخاص.

ثـانيا: الحـقول الدّلالية:

استخدم العلماء معطيات نظريّة التحليل التكويني في دراسة الكثير من الحقول الدّلالية [1]كما أن بعضهم يراها بأنهاامتداد لنظريّة الحقول الدّلالية.

ثـالـثا:الاكتساب اللغـوي عند الطفـل:

يميل الأطفال بطبعهم إلى التعميم في الألفاظ المكتسبة لديهم وبذلك سيستعملون الكلمة الواحدة في مجالات أوسع وذلك يعود لضعف قاموسهم اللغوي،وهم بالتالي يسقطون الملامح التمييزية للكلمات والألفاظ فبعضهم مثلا يطلق لفظة موز: للدلالة على جميع الفواكه وآخر يطلق لفظة رجل على جميع جنس المذكر.

الفـصـل الســابـع:نظريّة العلاقات الدّلالية Sementic relationship theory

تطرّق حسام البهنساوي في فصله السابع و الأخير في بابه الثاني عن نظريّة العلاقات الدّلالية و يرى بأنّ مهمة أي نظريّة للدلالة المعجمية هي رصد التمييز بين الوحدة المفردة ذات المدخل المعجمي الواحد،و الوحدة المتعددة الّتي ترتبط بأكثر من مدخل ،وبذلك ترصد الدلالات الجديدة و تحلّلها وتضمن الآليات اللّفظية لتحديد أي علاقة يبن المداخل المعجمية،بالتالي هذه الأسس و الأآياتهي من تحدد ما إذا كانت الوحدتان المعجميتان تفيدان دلالّتين مرتبطتين بوحدة معجمية الدّلالة أم لا ،وعليه الحكم يبنى على مجموعة محددة من قواعد العلاقات الدّلالية

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة ، ص 15.

أولا:اقتراحات جاكندوف R.Jackendoff:

جاءت اقتراحاته في كتاب (التفسير الدّلالي في النظريّةالتوليدية) سنة 1973 م. كنظريّة للعلاقات الدلالية التي تقوم على الدّور المحوري للمحمول كالمحور والمنفذ والمكان والصدر والهدف والأداة.

ملخص هذه العلاقة هو العلاقة المحورية والبنية العميقة حيث أن هذه الأخيرة يشتق منها المكوّن الدّلالي وعليه يرى جاكندوف بأن نظريّة الأدوار المحورية تتنبأ بالتراكيب الموحدة وأن سمات التفريغ الدّلالي تنقل بها الربط ويتمثل فيمايلي:

الأدوار المحورية تكون مجردة أو محسوسة وعليه نظريّة الأدوار المحورية تقوم بتمثيل لما هو مجرد أو محسوس وهو من متطلباتها لتخصيص السمات الداخلية للأدوار نفسها لمعرفة الاستعمال المعجمي والاستعمال المولّد ومدى اختلافهما أو انقسامها.

لقد توجهت اهتمامات العلماء نحو دلالات الجمل أكثر من دلالات الكلمات باعتبارها مكونا تفسيريا وانصبت أعمالهم على العلاقات التركيبية بين الجمل على أنّها الهدف الرئيسي. [1]

كل هذا كان في إطار الاهتمام بالنماذج التوليدية.

ثـانيا:روفت:Rowet

عرض روفت مثالا قدم فيه الدور المحوري إلى جانب الانتقائية الدلالية، إنسان+محسوس+نفسي، وتتلخص هذه الدّلالة في أن الدور المحوري في الإطار التأويلي في مقابل التصور التوليدي الدّلالي يستنبط من العلاقة النّحوية والخصائص الدّلالية المتضمنة في المداخل الدّلالية علاقة بينهما.

كل من جاكندوف و روفت حاولا معالجة القصور في إيجاد علاقة دلالية، ولم تقر معطيات التوليد الدّلالي من المحسوس إلى المجرد. واقتصرت جهود ما المداخل ذات العلاقات الصّرفية فقط

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 119.

ولم تتمكن من إيجاد علاقات دلالية للوحدات المترابطة دلاليا.وعليه لم تضع لنا فرضية عامة داخل المعجم، ولكن جاكندوف قدّم مقترحات جديدة مكّنت من رصد التوسّعات الدّلالية بها يمكن تصنيف الأفعال إلى ثلاثة أقسام:[1]

1 ـ أفعال الحركة مثل: سافر.

2 ـ أفعال الاستقرارمثل: وجد زيد في داره.

3 ـ أفعال المكوث: مكث زيد في داره.

وضرب مثلا في حقل الملكية بقوله: أعطيت كتابا لزيد.

المحـور:الكتاب وهو موضوع الحركة.

المـصدر: أنا (في صورة الضمير المتصل تاء الفاعل)

الهـدف: زيد

ثـالثا: القواعد التأويلية عند ميلر :Miler

بإمكان قواعد صغيرة إعانة الدّلالات المركزية المكملات المتعددة دلاليا وهيعبارة عن نمط من قواعد الحشو تصلح لتبسيطالفرضيات كما يمكننا صياغة قواعد تأصيلية تمكن للمعنى أن يتوسع بها.

رابـعا: القواعد الاستعارية الكنائية عند ليتش: G. Leech

تعنى هذه القواعد برصد اشتقاقات المعاني وبذلك تفسّر علاقات الاشتقاق بين المداخل المعجمية القائمة في اللّغة، ومن خلالها يعالج (النقل الدّلالي، الاستعاري الكنائي)، وتلعب دورا

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة ، ص 120.

أساسيا في حلقة المضيئة التصويرية عن طريق المجاورة ، ولذلك تعتبر إسهاما جيّدا في دراسة الدّلالات المعجمية.

المبادئ المحدّدة لعلاقات المجاورة في الأبنية المعجمية:

أ. مبدأ السببية (علاقات سبب مسبّب):

وتعد السببية من التصوّرات الّتي يستعملها الناس باستمرار لتنظيم واقعهم، ولاتساع أفق هذا المبدأ فيمكنه أن يشمل أيضا:

1: علاقة ناتج منتج: في مثل العلاقة بين المؤّلف باعتباره الناتج والكاتب باعتباره منتج ويقاس الأمر على الأمثلة التالية: اللوحة والرسام، الرواية والروائي ..... إلخ

2: علاقة أداة المنتج:مثل العلاقة بين كلمة آلة التصوير باعتبارها الأداة والصورة باعتبارها المنتج.

3: علاقة الموضوع بالفعل: مثل العلاقة بالكتاب باعتباره الموضوع والكتابة باعتبارها الفعل.

4: علاقة الأداة بالفعل: مثل العلاقة بين السيف والقتال.

5: علاقة المنفذ بالفعل:مثل العلاقة بين المتسابق باعتباره المنفذ والفعل باعتباره الفعل.

6: علاقة المنفذ بالأداة: مثل العلاقة بين سياق باعتباره المنقذ وكلمة سيف باعتباره الأداة.

ب–علاقة الجزء بالكل:

وذلك في مثل العلاقة بين كلمة الشراع وكلمة السفينة فالشراع جزء من السفينة.

ج–علاقة الوعاء بالمحتوى (الحال – المحل):

أو ما يطلق عليها العلاقة المكتسبة وذلك في مثل العلاقة بين الماء والنهر أو البحر أي المكان المتواجد فيه الماء

د–علاقة المالك بالملكية:

وذلك مثل العلاقة بين كلمة المال وصاحبه، والملكية هي ليست مقصورة على الجانب المادي بل تعداه إلى الممتلكات المعنوية مثل:الجاه،المنصب،السلطان،الذاكرة.

إنّ تحديد التعدّد الدّلالي يتمّ بواسطة قواعد العلاقات داخل المعجم ، في حين يعالج التعدّد الدّلالي المشتق خارج المعجم عن طريق نفس المجموعة من الأبعاد الّتي تحيل عليها قواعد العلاقات المعجمية وهذا الافتراض سمح برصد الصلة الوثيقة السابقة وهي:

– إحدى العمليات الرئيسية المنتجة للتعدّد الدّلالي تتخلى في خضوع الوحدات المعجمية لتوسّعات استعارية أو كنائية.

– هذه العمليات يصحّ معها التأويل المجازي مثل: أعضاء جسم الإنسان الّتي توسّعت في استعمالاتها كقول: فم الزجاجة، أذن الكوب، قدم الكرسي.

كما يوجد الكثير من الدّلالات الّتي كانت سائدة في العصور القديمة لكن أصابها التغيير ، ولعلّ المجاز بشيوعه وكثرة انتشاره تحوّل إلى الحقيقة، وعند تصفحنا لترائنا اللّغوي وبخاصة عند الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) نرصد الكثير من الألفاظ الّتي شاعت دلالتها على وجه الحقيقة إنّما هي في الأصل دلالات مجازية ميتة أو منسيّة ويضرب الزمخشري بذلك مثالا بقوله: يقولون بنى فلان بأهله، وذلك أنّ الرجل إذا أرادا الدّخول بأهله: (قد بنى بيتا من أدم أو قبة أو نحو ذلك من الحجر،ثم يدخل بها فيه، فقيل لكل داخل بأهله)[1].

فالدّلالة المجازية وهي دخول الرجل بأهله انتقلت إلى دلالة حسية وهي عملية بناء بيت الزوجية ثم تنوسيت الدّلالة المجازية الأولى المتمثلة في: بنى فلان بأهله ، وأصبحت دلالة على الحقيقة.

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة،ص 128.

رائد النظريّة التوليديّة أفرام نعوم تشومسكي N.chomsky ، يرى بأنّ التراكيب المجازية من مظاهر الانحراف اللّغوي ، وتأويل الجمل المنحرفة يُعدّ تأويلا مشتقّا وليس مباشرا ، ويحدث في الجمل السّليمة ،ويقسّم الجمل المنحرفة إلى ثلاثة أنماط:[1]

أ/ خرق الحقول المعجميّة: يكون على وجهين:

1: الانتقال من الصفة إلى الاسم مثل: المظهر السياسي يعبر مباشرة عن المظهر الاقتصادي، فتصبح : السياسي تعبير مباشر عن الإقتصادي

2: الانتقال من الاسم إلى الصفة مثل: يتحدثون عن جمهور شبح ، لتصبح: إنّهم يتحدثون عن جمهور شبح.

ب/ خرق لسمة تفريعية:كالانتقال من الفعل اللّازم إلى الفعل المتعدّي مثل:اكتشفت المرأة، لتصبح : اكتشفت المرأة طفلها.

ج/ خرق لسمة انتقائية:كالانتقال من المجرّد إلى المحسوس مثل:لوّنت النظريّات فكر زيد، عالج عمر الأزمة الثقافية

والحقّ أن وجهة نظر تشومسكي الّتي تعتمد في بناء التراكيب المجازية على خرق القيود الانتقائية أو الانحراف عنها، أمر لا يكفي للتّنبّؤ بالتأويلات المجازية أو للتّمييز بين التأويل المجازي الممكن أو الانحراف المتمثل في التناقض المنطقي، كما أنّ القول بأنّ التراكيب المجازية تراكيب منحرفة يدعونا إلى التقليل من أهمية هذه التراكيب، ومن ثمّ لا نستطيع تحديد الأنماط المطّردة للتوسّع والنّقل الدّلاليين على الرغم من إنتاج المتكلمين لهذه الأنماط، ويقولون بتأويلها أيضا بصفة مستمرة.[2]

كان هذا ما خلص إليه حسام البهنساوي في فصله السابع بعنوان نظريّة العلاقات الدّلالية.

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 129.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص131 .

الباب الثّالث: التغيّرالدّلالي.

أسباب التغيّر الدّلالي.

يرجع إبراهيم أنيس على حد تعبير حسام البهنساوي أسباب التغيّر الدلالي إلى سببين اثنين هما:

1: تغيّر لاشعوري ، ويتمّ في كل بيئة وفي كلّ لغة.

2: تغيّر مقصود متعمد وهو الذي يقوم به المهرة في صناعة الكلام ،وتقوم به المجامع اللّغوية لهدف أو لآخر.

أولا:الاستعمال وعناصره هي:

أ/سوء الفهم.

ب/بلى الألفاظ.

ج/الابتذال.

حيث يختلف النّاس في حدود الكلمة الهامشية وفي دلالتها ، وما يكتنفها من ظروف وملابسات بحيث تتغيّر كل يوم وتتنوع، فترثها الأجيال الناشئة على غير حالتها الأولى مع انحراف في الدلالة، ثم يتضخّم ذلك الانحراف مع توالي الأجيال .[1]

ثانيا: الحاجة:يتمّ عادة على يد الموهوبين من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء و الأدباء ، وتقوم به المجامع اللّغوية والهيئات العلمية، والسبيل إليه هو ما يسمى بالمجاز، أو الانتقال باللّفظ من مجاله المألوف إلى آخر جديد، أمّا مبررات هذا التغير فهي:

-توضيح الدّلالة: وذلك بجعل الصورة الذهنية من الجلاء والصقل بحيث لا تترك مجالا للتّوهم، و

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 135.

يكون هذا عند انتقال الدّلالة المجردة إلى الدلالة المحسوسة الملموسة.

– رقيّ الحياة العلمية: تطوّر الدّلالة مرتبط بتطوّر العقل الإنساني ، وهو ما يطلق عليه المجاز باعتباره مرحلة تاريخية مستمرة لتطور الدّلالة عند الأمم ، في حين أن المجاز البلاغي هو إبداع مستمر تجود به قرائح النخبة الفكرية والمواهب الشعرية والأدبية في كلّ عصر وزمان.

وانتقال الدلالة من المحسوس إلى المجرد يتمّ عادة في صورة تدريجية وتظلّ الدلالتان سائدتين جنبا إلى جنب، وليس لإحداهما الأحقية عن الأخرى ، حتى يمكن أن تعد إحدى الّدلالتين مما يسمى بالحقيقة والأخرى بالمجاز ، ولا حقيقة بينهما في مثل هذه الحال.

ثالثا: المشاعر العاطفية والنفسية: قد تتأفّف مشاعر المجتمع اللّغوي وأحاسيسه من بعض الألفاظ لما تثيرة من اشمئزاز وإيحاء نفسي كريه ، ولنفور المجتمع اللّغوي من الكلمات المستقبحة يستبدلها بألفاظ لها معنى آخر ، له قابلية لدى المجتمع ، وهذا ما يؤدي إلى تغيّر المعنى.

رابعا: الانحراف اللغوي: تنحرف بعض الألفاظ عن مدلولاتها التي وضعت لها بأصل نشأتها ، ويشيع الإنحراف الدّلالي لدى المجتمع اللّغوي ويلقى لديهم قبولا وله اسباب منها سوء الفهم والغموض والالتباس.

خامسا: الإبداع: يعد الإبداع من أسباب تغيّر المعنى ويمكن حصر مجالاته في :

1 أصحاب المواهب والمهارات اللغوية وقدرتهم على الإبداع اللّفظي لامتلاكهم ملكة لغوية متميزة

2 المجامع اللّغوية والهيئات العلمية بأنواعها بحيث تلعب دورا مهما في الإبداع اللّفظي، حينما يحتاج الوسط الأكاديمي إلى استخدام لفظ ما للتّعبير عن فكرة أو مفهوم معين ، فهم يجيزون للّفظ اكتساب المعنى الجديد المطلوب، لتتّسع دائرة استعماله ويصبح معنا شائعا في اللّغة المشتركة. [1]

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 139.

أشكال التغيير الدّلالي وأحواله.

اعتمدت دراسات العلماء منذ القديم في محاولاتهم إخضاع التغييرات في المعنى إلى قواعد محددة على تلك التصنيفات المجازية لأسباب جمالية أو أسلوبية، على النحو الّذي نجده عند علماء البلاغة والقواعد اللّغويّة،وعلى النحو الّذي نجده عند الفلاسفة والمناطقة من أمثال أرسطو، أما علماء اللّغة، فقد ركزوا على الجوانب اللّغويّة الّتي يمكن التّعويل عليها في التماس عمليات التغيّرالدّلالي بعيدا عن المنطلقات الأدبية. ويمكن تقديم الأشكال الّتي أقرّها اللّغويون لتغيير المعنى في الأشكال الآتية:

أوّلا: توسيع المعنى وتعميمه :Widening

ويكون هذا التوسّع للمعنى عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام، وتختلف وجهات نظر العلماء حول مدى شيوع هذا الشكل،حيث يرى أحمد مختار عمر أنّ حدوث التوسع الدّلالي في اللّغة،يقف على قدم المساواة في الأهمية مع الشكل الآخر:تضييق المعنى ويذكر إبراهيم أنيس أنّ هذا الشكل من التعميم،يلجأ إليه النّاس في حياتهم العادية ،حيث يكتفون بأقل قدر ممكن من دقّة الدّلالات وتحديدها، ويكتفون بالقدر التقريبي الّذي يحقق هدفهم في فهم معنى الكلام و التخاطب،ولا يكادون يحرصون على الدّلالة الدقيقة المحددة، ومن ثَمَّ فهم ينتقلون من الدّلالة الخاصة إلى الدّلالة العامة.

ومن هذا التعميم الدّلالي، كلمة: البأس، الّتي تفيد في أصلها الدّلالي:

الحرب، ثمّ تمّ تعميمها على كل شدة أو ضيق، وكذلك: كلمة: الورد،الّتي تفيد نوعا من الزهور ثمّ تعميمها للدّلالة على جميع الزهور.

ثانيا: تضييق المعنى أو تخصيصه:Narrowing

وهو عكس الاتّجاه السّابق ، حيث يتمّ تحويل الدّلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي وذلك بتضيق مجاله،والألفاظ في معظم اللّغات الإنسانية تتباين دلالتها بين أقصى التخصيص كما في الأعلام، وثمة درجات من التعميم،ودرجات من التخصيص، وثمّة حالات وسط بين إدراك الدّلالة الخاصة أو شبيهة بالخاصة أيسر من إدراك الدّلالة الكلية،الّتي يذكر إبراهيم أنيس أنها أقلّ من نظيرتها الجزئية في حياة الناس ومعاملتهم.ويلجأ الناس في حياتهم إلى تلك الدلالات الضيّقة أو الخاصة هروبا من الدّلالات الكليّة الّتي لا وجود لها في التمثيل اليومي،وإنّما مكانها العقول والأذهان،وثمّ كلمات كثيرة في اللّغة العربية ومستوياتها اللهجية قد تتعرّض دلالتها على هذا النّحو من التغيّر الدّلالي فكلمة: الطهارة تخصصت دلالتها مثلا في الاستعمال اللّهجي في مصر إلى مجرد عملية الختان،ومن أمثلة ذلك في اللّغة الإنجليزية كلمة Meat الّتي كانت تطلق على معنى أعمّ للدّلالة على الطعام،أصبحت في الاستعمال الحالي للدّلالة على معنى أخص وهو اللّحم فقط.

ثالثا: نقل المعنى.

ويعد نقل المعنى إحدى أشكال التغيير الدّلالي من جهة هذا الاستعمال المجازي لألفاظ اللّغة ومفرداتها على أساس ما بين هذه الألفاظ والدلالات المجازية من علاقات دلالية، ويذكر فندريس أنّ نقل المعنى: يكون عندما يتعادل المعنيان،أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال،أو من المسبب إلى السبب، أو من العلاقة الدالة على الشيء إلى المدلول عليه.. إلخ وبالعكس، وانتقال المعنى يتضمن طرائق شتى (الاستعارة–إطلاق الجزء على الكل – المجاز المرسل بوجه عام.)[1]

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 146.

رابعا:انحطاط المعنى أو الدّلالة:

تنشأ الدّلالة في أوّل أمرها للتّعبير عن القوة والبأس والشناعة والفضاعة وتشيع بين الناس في هذه الدّلالة اللّغويّة ويكثر تداولها،ونظرا لشيوع هذا الإسراف والمغالاة في المواقف تقلّ قيمة الكلمة ودلالتها لا يثير في نفس أصحاب اللّغة، ومن أمثلة ذلك في استعمالاتنا دلالة كلمة القتل والقتال في الشّجارات والاختلافات،وثمّة ألفاظ كثيرة تضاءلت مكانتها وفقدت كثيرا من وقارها من بين هذه الألفاظ: كلمة أفندي،الّتي كانت تفيد على دلالة اجتماعية رفيعة في تقسيمات طوائف المجتمع في القرن التّاسع عشر،بل إنّ حاكم البلاد كان يُلقّب أفندينا.

خامسا: رقيّ المعنى أو الدّلالة.

تتوفر لبعض الدّلالات المتواضعة في أذهان الجماعة اللّغويّة الظروف و والمواقف ، فترقي هذه الدّلالات وتسموا وترتفع وهذا الأمر يحدث في ألفاظ اللّغات على سواء،لكن هذا الرقي للألفاظ ودلالاتها ليس شائعا أو منتشرا،على النّحو الّذي يحدث للألفاظ و دلالاتها من الانحطاط،وثمّة دلالات في الأذهان العربية كانت تفيد معاني متواضعة،ومثال ذلك دلالات كلمة رسول الّتي كانت تدلّ على الشخص الّذي كان يحمل رسالة أو نحوها من مكان إلى مكان،ثمّ اكتسبت دلالة سامية عالية القدر والمقام باختيار ربّ العزّة سبحانه للرسول مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم بل له دلالة مقدسة في قلوب المسلمين، وكذلك الحال في كلمة السلطان والملك،حيث كانت دلالتهم تطلق على صاحب الولاية والحكم مهما صغر شأنه حتّى القرن السابع الهجري،فأصبحت دلالة اللفظة على العظماء،ولعلّ من طريف ماورد في ترتيب المراكز العلمية في القرن السّادس الهجري ترتيبا محدّدا متدرّجا على النّحو الآتي:المعلّم، فالمؤدّب، فالمدرِّس، فالمعيد، فالشّيخ، فالأستاذ، فالعالم، فالإمام.

سادسا: المبالغة.

ذكر أولمان أنّ المبالغة من أشكال تغيّر المعنى،وجعلها مسؤولة عن ظهور الشعارات المذهبية والاصطلاحات الخادعة الّتي تستغلها أجهزة الدّعاية أسوأ استغلال،حتّى إنّها لا تلبث أن تؤدي إلى عكس المقصود منها، كما في نحو قولك: هو سعيد بشكل مخيف، ورائع بكل بساطة،ومثل هذه التغيّرات الصّارخة سرعان ما تفتقد جِدَّتها وقوّة التعبير فيها،حتّى تصبح مبتذلة بالية ثم تخلفها وتحل محلها تعبيرات أخرى.[1]

ويعد أبو حاتم الرّازي أحد هؤلاء العلماء الّذين أوْلوا تغيير المعنى في ألفاظ اللّغة العربية اهتماما كبيرا لدرجة تؤكّد عمق فكره وإدراكه عندما يتحدث عن تغيّر الفعل غفر على سبيل المثال وانتقال دلالته من المحسوس إلى دلالته المجرّدة،حيث نجده يقول: " يُقال غفور، وغفّار، وغافر، وهي من المغفرة، بمعنى السّتر، أي يستر ذنوب العباد، ومن شواهد التوسّع الدّلالي ما ذكره الرّازي في دلالة كلمة اللّوح؛حيث يقول: فهي دالّة في الأصل على نوع من المواد الّتي يكتب عليها ثم عُمّمت على سائر الوسائل الأخرى وينتقل بنا الرّازي إلى تغير الدّلالة عن طريق نقل المعنى في إطار المشابهة المستمدَّة من العلاقة الكبرى.

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 148.

أنواع التعدّد الدّلالي:

المبحث الأول:الترادف:

تُعدّ ظاهرة الترادف من الظواهر اللّغويّة الّتي أولاها علماء اللّغة اهتماما كبيرا من حيث كونها وسيلة من وسائل النمو اللّغوي والثراء اللّفظي بوجه عام، وباعتبارها واحدة من أنواع التعدد الدّلالي الهامة من جهة أخرى.

ويذكر أولمان أنّ المترادفات هي ألفاظ متّحدة المعنى قابلة للتبادل فيما بينهما في أي سياق والترّادف التّام على الرّغم من عدم استحالته نادر الوقوع إلى درجة كبيرة فهو نوع من الكماليات الّتي لا تستطيع اللّغة أن تجود بها في سهولة ويسر.

التّرادف عند العلماء العرب القدامى:

تناول العلماء العرب القدامى ظاهرة الترادف في اللّغة العربية وتباين وجهات نظرهم في قبوله أو رفضه.

لقد عنى العلماء العرب بهذه الظاهرة على النحو الّذي أسلفناه من حيث القبول أو الرفض ، منذ بدايات النشاط العلمي والتّأليف اللّغوي مع بداية القرن الثاني الهجري، وذلك في باب: هذا باب اللّفظ للمعاني،[1] حيث يقول:"واختلاف اللفظين والمعنى واحد." [2]

ولعلّ أوّل من أطلق هذا المصطلح هو أحمد بن فارس في كتابه:(الصّاحبي في فقه اللّغة) كما يبدو أنّ أوّل من ألف كتابا يحمل عنوانه هذا المصطلح: الترادف إنما هو الرمّاني في كتابه الألفاظ

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 153.
[2] ينظر المرجع نفسه ، ص 153.

المترادفة والمتقاربة في المعنى. وقد أطلق عليه بعضهم المصطلح السابق الترادف ـ على النّحو الّذي ذكرناه، في حين سمّاه بعضهم: ما اختلفت ألفاظه واتّفقت معانيه،كما فعل الأصمعي.[1]

ويمكننا تقسيم العلماء العرب وعرض وجهة نظرهم في هذه الظاهرة إلى قسمين أو فريقين:

الفريق الأول :(القائلون بوجود الترادف في اللّغة العربية):

قال أبو علي فارسي: كنت بمجلس لسيف الدولة بحلب،وبحضرة جماعة من أهل اللّغة،وفيهم ابن خالويه فقال، أحفظُ للسيف خمسين اسما،فتبسم أبو علي وقال:ما أحفظ إلا اسما واحدا،وهو: السيف قال ابن خالويه:فأين المهند والصّارم وكذا وكذا،فقال أبو علي: هذه صفات،وكان الشيخ لا يفرّق بين الاسم والصفة.[2]

ثمة فريق متوسط بين الفريقين الأساسين يقول أصحابه بوجود الترادف في اللّغة العربية ولكنهم يضعون لهذا القول شروطا ويأتي الفخر الرازي من هؤلاء العلماء،الّذي يصرح بقوله: ومن النّاس من أنكره (أي الترادف) وزعم أنّ كلّ ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات،إمّا لأنّ أحدهما اسم الذات والأخر اسم الصفة. أو صفة الصفة. والكلام معهم إما في الجواز ولاشك فيه أو في الوقوع،إما في اللّغتين وهو أيضا معلوم بالضرورة أو من لغة واحدة كالحنطة والبُرّ والقمح.وتعسّفات الاشتقاقين لا يشهد لها شبهة فضل عن حجة.

وقد أدرك ذلك كلّ من ابن الجني والأصفهاني أيضا؛ فقد صرح ابن جنّي بقوله:وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة سُمعت في لغة إنسان واحد فإنّ أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها، أو طرفا منها من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كلّه. أمّا

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 154.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص 154.

الأصفهاني فيُروى أنّه قال:وينبغي أن يحمل كلام من منع الترادف على منعه في لغة واحدة. أمّا في لغتين فلا ينكره عاقل.[1]

أمّا الفريق الثاني المنكرون لوجود الترادف والرافضون لحدوثه في اللغة العربية،ويُعدّ أحمد بن فارس تلميذ ثعلب من الرافضين للترادف في اللّغة العربية حيث يقول:"ويُسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف،والمهند، والحسام، والّذي نقوله في هذا: إنّ الاسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات مذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الآخرين،وقد خالفوا في ذلك قوم،فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد وذلك قولنا: سيف،وعضب، وحسام. وقال آخرون ليس لها اسم ولا صفة إلا ومعناها معنى آخر، أمّا ابن السرّاج فإنه يقول: وقد حُكي لي عن أحمد بن يحي أنه كان يقول: يجوز أن يختلف اللّفظ والمعنى واحد، وهو في هذا القول أبعد من قال إنه لا يجوز أن يتفق اللّفظ ويختلف المعنى." [2]

ويواصل أبوهلال العسكري رفضه للتّرادف،ويقدم الأمثلة تلو الأمثلة بهدف البرهنة على سلوكه الرافض ضد جمهور العلماء العرب فيقول في الفرق بين المدح والتقريظ:المدح يكون للحي والميت، والتقريظ لا يكون إلا للحي،وخلافه التأبين لا يكون إلا للميت.وأصل التقريظ من القرظ وهو شيء يديغ به الأدم، وإذا دبغ به حسن وصلح وزادت قيمته،فشبه مدحك للإنسان الحي بذلك،كأنك تزيد من قيمته بمدحك إياه،ولا يصح هذا المعنى في الميت،ولهذا يُقال: مدح الله،ولا يُقال قرظه.

ولكننا نجد أبا الهلال العسكري في كتابين آخرين له يذكر الألفاظ المترادفة ولا يعترض عليها أو يحاول التفريق بين معانيها على النحو الّذي اجتهد فيه في كتابه: الفروق اللّغويّة كما أسلفنا، وأحد هذين الكتابين هو كتاب: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ففي نصّ من نصوصه بعنوان: في

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 157.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص 157.

ذكر النّوم وقد امتلأ بالألفاظ المترادفة ولم يحاول أبو هلال العسكري أن يرفض منها شيئا أو يتحدث عن فروق في معانيها فهو يقول: فأوّل النوم: الوسن والسنة والنعاس ويقال للنوم: الجهود والهجوع.وأمّا الكتاب الثاني فهو كتاب: المعجم في بقيّة الأشياء، ذكر في هذا الكتاب أنّ من الأسماء الدّالّة على بقيّة الماء في الحوض: الجحفة،الحنطة،والدعث، والرّشف، والمسلمة، والهلال. كما ذكر من الألفاظ الدّالة على: بقية اللّبن في الضّرع:التفثيل، الرمث والعفانة، والعلالة، والغبر، وغير ذلك من الألفاظ.

الترادف في الدّراسات اللّغويّة الحديثة:

أولا: الترادف التام: Complete synonymy:

ويُطلق عليه أيضا بالترادف الكامل: Perfect synonymy، كما يُطلق عليه كذلك التّماثل Samaness، وذلك عندما يتطابق اللفظان تمام المطابقة ولا يشعر أبناء اللّغة بأي فرق بينهما ولذا يبادلون بحرية بينهما في كل السياقات.

ومن هذه التعريفات الّتي أوردها العلماء للترادف التام ما يلي:

1) التعبيران يكونان مترادفين في لغة ما إذا كان يمكن تبادلهما في أي جملة في هذه اللّغة دون تغيير القيمة الحقيقية لهذه الجملة.
2) الكلمات المترادفة هي الكلمات الّتي تنتمي إلى نفس النوع الكلامي (أسماء –أفعال) يمكن أن تتبادل في الموقع دون تغيير المعنى أو التّركيب النحوي للجملة.
3) أمّا علماء النظريّة التصويرية فإنهم يرون أن التعبيرين إذا كانا يدلان على نفس الفكرة العقلية أو الصورة فذلك هو الترادف.
4) ويرى علماء النظريّة الإشاريّة أنّ الترّادف يتحقق إذا كان التعبيران يُستعملان مع نفس الشيء بنفس الكيفية.

5) ويرى أصحاب النظريّة السلوكيّة أنّ التعبيرين إذا كانا متماثلين عن طريق اتصال كل منهما بنفس المثير والاستجابة فذلك هو الترادف.

6) أمّا علماء النظريّة التحليلية فإنهم يرون أن الترادف يتحقق إذا كانت الشجرة التفريعيّة لإحدى الكلمتين تملك نفس التّركيبالتفريعي للأخرى أو اشتراك اللفظان في مجموع الصفات الأساسية التمييزية.

ثانيا شبه الترادف:Near synonymy:

ويُطلق عليه علماء آخرون مصطلح التشابه Likeness أو التقارب Contiguity أو التداخل Overltapping وذلك حين يتقارب اللّفظان تقاربا شديدا لدرجة يصعب معها بالنّسبة لغير المتخصص التفريق بينهما، ولذا يستعملها الكثيرون دون تحفظ مع إغفال هذا الفرق ويمكن التّمثيل لهذا الفرع في العربية بكلمات مثل عام، سنة، حول، وثلاثتهما قد وردت في مستوى واحد من اللّغة وهو القرآن الكريم، ويعمل على هذا النوع كثير من الكلمات الّتي توصف بالترادف مثل: answer مع Reply بمعنى:أجاب وكذلك مثل:ill، مع Sick، بمعنى :مريض، ومثل :Own مع Possess بمعنى يملك .[1]

أمّا التقارب الدّلالي:Contiguity–semantic relation

فإنّه يتحقّق عندما تتقارب المعاني مع اختلاف الألفاظ فيما بينهما في ملمح هام واحد على الأقل، ويمكن التمثيل لذلك التقارب بكلمات كل حقل دلالي على حدة عندما تعتمد على تضيق مجال الحقل وقصره على مجموعة من الكلمات،ومثال ذلك في اللّغة العربية بكلمتي :(حلم)

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 162.

و (رؤيا) من الكلمات الّتي وردت في القرآن الكريم؛ حيث اقتصر مدلول الأولى على: الأضغاث المشوشة والهواجس المختلفة،واقتصر مدلول الثانية على معنى الرؤيا الصادقة.[1]

ومثال في اللّغة الإنجليزية الكلمات: crawel-skip–hop -Ru-Walk

حيث تمتلك جميعها تقاربا في المعنى واشتركا في دلالة الحركة من كائن حي يستعمل أرجله على الرّغم من اختلاف عدد الأرجل وكيفية الحركة وعلاقة الأرجل بالسطح الملامس في دلالة كل لفظ منها.

ويقول جودمان Goodman أنّه لا يوجد لفظان يمكن أن يحلّ أحدهما محلّ الآخر دون تغيير الدّلالة الحقيقية، وعلى هذا فلو ادّعينا ترادف كلمتين فإن عدم إمكانية تبادلهما في بعض السّياقات يمكن أن يقدّم الدليل على أن الكلمتين لا تحملان نفس المعنى.

أمّا القلّة من العلماء المحدثين فهم يقولون بوجود التّرادف، ولكن بشروط محدّدة ومن بينهم أولمان S.ullmann إذ يقول: إنّه يكاد يكون بديهيا أنّ التّرادف التام غير موجود أو نادر الحدوث جدا، وإنّه ترف لا يمكن للّغة أن تقدمه بسهولة، وفقط تلك الكلمات أن تحلّ إحداهما محلّ الأخرى في أيّ سياق.

وبعد فإنّنا لا يمكن أن نتفق مع القائلين بوجود الترادف التام على إطلاقه وإنّه مما يشيع في اللّغة المعينة أو في اللّغات بوجه عام،لأنه كما ذكر الرافضون له سواء من العلماء العرب أو من اللّغويين المحدثين يُعدّ ممن قبيل الترف والزيادة الّتي لا يمكن بقاؤها في دلالات أية لغة على فترات طويلة، إذلابد من أن تنشأ فروق أو ملامح دلالية عبر الزمان ، لمثل هذه الألفاظ المترادفة على كافة مستويات الدّلالة الأساسية والأسلوبية والنفسية والإيجابية وغيرها من الدلالات.

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 164.

أسباب التّرادف في اللّغة العربيّة الفصحى وكثرته:[1]

1) تعدد الأسماء للشيء الواحد لتعدده في اللهجات العربية المختلفة؛ حيث تصطلح كل لهجة من اللهجات العربية أسماء تُطلق على الشيء (المدلول)فتتعدد الأسماء بتعدد القبائل الّتي نشأت فيها هذه الأسماء. وبعد أن استقر الأمر في ظهور اللّغة العربية الفصحى باعتبارها اللّغة المشتركة وبدأ العلماء واللّغويون في جمع ألفاظ هذه اللّغة وروايتها من أفواه العرب، وأخذوها من أفواه البدو الخلّص والفصحاء وفقا لشروطهم الّتي وضعوها للاحتجاج بها ، وتجمعت لديهم ألفاظ كثيرة من هذه القبائل في أنحاء الجزيرة العربية، ولم يكن في مقدور هؤلاء العلماء واللّغويين أن يرفضوا هذه الألفاظ الكثيرة،وأن يكتفوا بلفظة واحدة للدلالة على المعنى؛لأنّ جميعها من أفواه العرب الموثوق بفصاحتهم وسلامة قرائحهم وصفائها.ولعلّ الوصف الّذي ذكره علي عبد الواحد وافي في شأنها يكون مناسبا لما نقول في شأن هذه الألفاظ الكثيرة لكثرة اللهجات أو القبائل في الجزيرة العربية في قوله: "وأصبحت الحالة الّتي انتهت إليها أشبه شيء ببحيرة امتزج بمياهها الأصلية مياه أخرى انحدرت إليها من جداول كثيرة."

وصرّح اللّغوي ابن جنّي بأن ذلك من قبيل كثرة اللغات أو اللهجات في قوله:كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى أن تكون لغات لجماعات، اجتمعت لإنسان واحد من هنا وهنا، وهذا ما ذكره الأصوليون.

ولا يخفى ما في ذلك من التكلف ومخالفة الاستعمال القرآني،وتكثر مثل هذه الألفاظ المترادفة بسبب تعدد المتكلّمين وتنوّعهم الثّقافي والمكاني، حيث نجد للمعنى الواحد لفظة لا تماثل نظيراتها في مكان أو بيئة أخرى في الوطن العربي،ففي اللهجة المصرية يقولون:(فكه) على العملات الصغرى أو الأقل من نظيرتها الكبرى،وفي لبنان يطلقون عليها: كلمة (فرافير)أمّا في سوريا والأردن

[1]: ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 165

يطلقون عليها(فراطة) وفي العراق(خردة)، وكذلك الحال عند بعض المصريين، وفي ليبيا (رقاق)، أمّا في السعودية(صرافه)أو (تفاريق).

2) كثرة صفات الاسم الواحد وتعددها تبعا لاختلاف خصائص هذا الشيء،ومع مرور الزمن وتباعده تصبح هذه الصفات بمثابة أسماء لذات الشيء ويزول كونه وصفا في أذهان أصحابه. ويقول ابن الأثير: "وقد يوجد من الأسماء ما يطلق على المسمى بالوضع اسما للذات لا معنى فيه كالصارم فإنه موضوع له كصفة الحدة" وهذا يُعدّ من الأسباب الّتي أسهمت في تضخّم المعاجم العربية وقد أدرك ذلك نولدكه بقوله: "وطبيعي أن المعاجم العربية قد تضخمن جدا على الأخص بسبب أنها تذكر التسميات الشعرية الشخصية الخالصة للأشياء، على أنها كلمات خاصة، فحين يسمى أحد الشعراء الأسد مثلا بالكاسر بالأسنان، ويسميه شاعر آخر بالساحق،وغير ذلك فإن المعجم العربي يأخذ هذه المسميات على أنها ترادف كلمة الأسد تماما." [1]

3) التطور اللّغوي في اللفظة الواحدة حيث قد تنشأ كلمات جديدة بسبب ما يطرأ على الصيغة اللّغويّة من تغير في أصواتها، وتكون دلالات هذه الكلمات الجديدة هي ذاتها دلالة الكلمة أو الصيغة الأولى فيطلق العلماء على هذه الكلمات الجديدة الّتي تغيرت في بعض أصواتها: مترادفات وقد تحدّث عن مثل هذا التطور أو التغيّر الصوتي العالم اللغوي ابن الجنّي في قوله: "ومن ذلك:هتلت السماء وهتنت:أصلان، ألا تراهما متساويين في التصرف، يقولون هتنت السماء تهتن تهتانا وهتلت تهتل تهتالا،وهو سحائب هتن،وهتل).

وثمّة كلمات أخرى أوردها أبو الطيب اللّغوي تدلّ هي الأخرى على معنى واحد من قبيل الترادف الناتج عن هذا التطوّر الصّوتي مثل كلمات: الحثالة، الحفالة، خذالة، الحسالة، وحصالة لمعنى الرديء من الشيء فيها جميعا، وتكون الحثالة هي الأصل بالثاء وتغيرت الفاء للقرابة المخرجية والاتفاق في صفة الهمس فتنشأ كلمة:حفالة،وأمّا كلمة خذالة،فقد تحولت الحاء خاء للقرابة

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 169.

المخرجية والاتفاق في صفة الهمس، وكذا تحولت الثاء ذالا للقرابة المخرجية من جهة وتأثرها باللام فتحولت ذالا للاتفاق في صفة الجهر.وأمّا كلمة حسالة فتحولت الثاء سينا للقرابة المخرجية والاتفاق في صفة الهمس، وأمّا كلمة: حصالة فتحولت الثاء صادا لتأثرها باللام بعدها فاكتسبت التفخيم من جهة التأثر المدبّر وبقيت على همسها صادا لتأثرها بالحاء على سبيل التأثر المقبل.

4) الاستعارة من الألفاظ الأجنبية الّتي كانت لغاتها مجاورة للجزيرة العربية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام؛ حيث استعملها العرب لتفيد دلالات عربية في أذهان الجماعة اللّغويّة العربية بألفاظها عربية النشأة،وأصبحت هذه الكلمات أو الألفاظ عربية الاستعمال والبناء اللغوي على قدم المساواة مع الألفاظ العربية، وأسهمت من ثمة في ظهور نوع من أنواع الترادف عن طريق هذه الاستعارة،نذكر منها كلمات:الدمقس والإستبرق للحرير،وكلمات الزّرجون والإسفط والباذق للخمر، وكلمة:البهرج للباطل،وكلمة البخت للجدّ والحظ،ومنه قول الحجاج في كتابه إلى بعض عماله بفارس: "ابعث إليّ بعسل خُلّار،من نحل الأبكار من الدستفشار الّذي لم تمسّه النّار." وقد اشترط العلماء للقول بوجود الترادف في الكلمات المترادفة شروطا أخرى معينّة إذا ما توافرت أمكن القول معها بالترادف، يمكن تقديمها على النحو الآتي:

1) ضرورة الاتفاق بين معنى الكلمتين المترادفتين أو الكلمات المترادفة اتفاقا تاما، فإذا تبين لنا بدليل قوى،أن العربي كان يفهم حقا من كلمة جلس شيئا لا يستفيده من كلمة قعد، قلنا حينئذ: ليس بينهما ترادف.

2) الاتحاد في البيئة اللّغويّة،ولعل عدم إدراك المغالين بإنكار الترادف لم يفطنوا إلى هذا الشرط الّذي تنبه إليه الموافقون على الترادف،وأدركوا أهمية التفريق بين البيئات اللّغويّة وقبائلها في أنحاء الجزيرة العربية،وأنّ كل لهجة من هذه اللهجات تُعد بيئة واحدة في حد ذاتها.

3) الاتحاد في العصر أو الزمن الّذي توجد فيه هذه الألفاظ المترادفة، فالقول بالترادف يستوجب وجود الألفاظ المترادفة في زمن أو عصر واحد، ولا يمكن القول بالترادف وفقا للنظريات اللّغويّة الحديثة

يبن الألفاظ في عصور مختلفة أو ترجع اللّغة إلى العهود سحيقة ذات حضارات أو كيانات بعيدة ضاربة في أعماق التاريخ البشرى.

4) ألّا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي آخر فلا يمكن القول بأنّ بين كلمتي الجثل،والجفل ترادفا لأنهما بمعنى واحد وهو النمل،لأننا سنلحظ بأنّ إحدى الكلمتين هي وحدها الّتي تحمل المعنى الأصلي في أذهان الجماعة اللّغويّة، وأن الكلمة الثانية قد تطورت عنها، حيث يمكننا القول بأن الفاء قد تطورت أو تغيرت من الثاء.

وبعد فإن ظاهرة الترادف في اللّغة العربية تعد من الظواهر اللّغويّة العامة الّتي أدت إلى توسع في هذه اللّغة الشريفة وفي أساليبها المختلفة في النظام والنثر،وبخاصة عندما يلجأ إليه الشعراء والفصحاء والكتّاب وأضرابهم في إعوازهم للسّجع والتجنيس والترصيع وغيرها من أصناف البديع الّذي لا يتحقق إلا بمثل هذه الألفاظ المترادفة.

المشترك اللّفظي عند العلماء العرب القدامى:

عرف علماء الأصول المشترك على أنّه: اللّفظ الواحد الدّال على معنيين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة.

وقد عنى العلماء العرب بهذه الظاهرة في اللّغة العربية، وألّفوا فيها مؤلفات كثيرة توجهت همم كثير منهم إلى دراسة المشترك اللفظي في القران الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف بوجه خاص وفي اللّغة العربية في مستوياتها الشعرية والنثرية على السواء بوجه عام.وقد حملت عناوين هذه المؤلفات،وبخاصة في ألفاظ القران الكريم مصطلح:الوجوه والنظائر،أو الأشباه والنظائر،ومنها:ما ألّفه مقاتل بن سليمان البلخي (ت.15هـ) وكذا الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لهارون بن موسى الأزدي الأعور(ت.170هـ) وكذا كتاب إصلاح الوجوه والنّظائر للحسين بن مُحَمَّد الدامغاني(من علماء القرن الخامس الهجري) كما كان للإمام السيوطي (ت 911 هـ) باع واسع في هذا التّأليف في القرآن الكريم وبخاصة في كتابه: معترك الأقران في إعجاز القرآن.

وقد ذكر الزركشي المقصود بكلمة الوجوه وكذا بكلمة:النظائر،وذلك بقوله:فوجوه اللّفظ المشترك الّذي يستعمل في عدة معان كلفظ الهديله سبعة عشر معنى في القرآن،وأما كلمة النظائر فتعنى الألفاظ المتواطئة أو المترادفة، أو على حد تعبير السيوطي ما اختلف لفظه واتّحد معناه.[1]

أمّا مؤلفات العلماء العرب في المشترك اللّفظي في اللّغة العربية بوجه عام فقد قام بها عدد من أعلامه مثل:الأصمعي واليزيدي وأبو العميثل وكراع النمل،وقد وصلنا منها كتابان لأبى العميثل وكتاباً لكراع النمل.

وإذا كان رأى جمهور العلماء من اللّغويين والنحّاة وعلماء الأصول وهو الإقرار بوجود المشترك اللّفظي، حيث نجد سيبويه يقول في كتابه: اعلم أنّ من كلامهم اتفاق اللّفظين واختلاف المعنيين. كما يخصص ابن فارس في كتابه الصّاحبي بابا بعنوان:(باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق) ويقول أيضا:فإذا اتّفق البناءان في الكلمة والحروف ثمّ جاءا لمعنيين مختلفين لم يكن في رجوعهما إلى معنى واحد يشتركان فيها،فيصيران متّفقي اللّفظ والمعنى. لكنّنا نجده يحدّد لنا الأسباب الّتي تدعو إلى نشوء الاشتراك،حيث يقول: "فلو جاز وضع لفظ واحد للدّلالة على معنيين مختلفين لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية ولكن قد يجيئا لشيء النادر من هذا لعلل."

أمّا مفهوم المشترك اللّفظي كما أورده السيوطي، بأن تؤدي كلمة واحدة أكثر من معنى فإن ذلك ما تحقق فينبغي أن يحدث دون النظر إلى:[2]

1) ما إذا كانت هناك علاقة بين المعنيين أو لا.
2) ما إذا كان المعنيان منفصلين أم لا.
3) ما إذا كان المعنيان موزعين على لهجتين أو مستعملين في لهجة واحدة.

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 177.
[2] المرجع نفسه ، ص 179.

4) ما إذا كانت الكلمة في أحد معنييها تنتمي إلى قسم معين من الأقسام الكلام،وفي المعنى الآخر إلى قسم آخر،أو كانت تنتمي بمعنييهما إلى قسم واحد.

وقد أرجع العلماء نشأة المشترك اللفظي في اللّغة العربية إلى مجموعة من العوامل والأسباب، يمكن حصرها في عاملين رئيسين هما: عوامل داخليّة، وعوامل خارجيّة.

أوّلا: عوامل داخلية، وتتمثل العوامل الداخلية فيما يلي:

1 ـ الاستعمال المجازي: حيث تفيد الكلمة الواحدة معنيين اثنين،أحدهما على وجه الحقيقة،ككلمة العين مثلا،الّتي تفيد الدّلالة على العضو الإبصار في الإنسان والحيوان،بدليل المقارنة بين العربية واللّغات السامية الأخرى،فهي من الأسماء السامية القديمة،لكنّها في العربية تدلّ على معان،ودلالات أخرى كثيرة على سبيل الاستعمال المجازي في مثل الجاسوس وعين الركبة وعين الشّمس ونحوها،وذلك في إطار علاقات المشابهة الاستعارية أو الكنائية.

وعلى الرغم من عدم اهتمام العلماء العرب وبخاصة اللغويّن المهتمّين بالثروة اللفظية،وجمعها في المعاجم،بهذه العلاقة المجازية إلا أن الزمخشري قد خصّص معجمه:أساس البلاغة لهذه العلاقة لكنّه لم يوفق في كل حالة فقد ضلّ الطريق حين حاول اشتقاق معنى حسي من آخر معنوي مع أنّ الّذي أجمع عليه المحدثون أنّ المعاني الحسيّة أسبق في الوجود،وأجدر بأن تُعدّ المعاني الحقيقية وغيرها فروع لها عن طريق المجاز.

ويذكر أولمان مثالا من الإنجليزية يوضح هذه العلاقة، حيث يقول: كيف اكتسبت الكلمة:Collation أي الموازنة والمراجعة التفصيلية مثلا معنى الأكلة الخفيفة؟من البديهي أنّه ليست هناك مشابهة بين المعنيين،بل إن احتمال وجود أية صلة بينهما احتمال يبدو بعيدا أول الأمر،ولكن التاريخ يمدنا بما يفسر هذه الحالة،لقد كانت العادة في بعض الأديرة،يتناول الرهبان

طعاما خفيفا بعد فراغهم من قراءة سير الرواد الأوائل من رجال الدين،ومراجعة هذه السير،فكان هذا الارتباط العرضي كافيا،لأن ينحرف بالكلمة ويقودها إلى هذا التطور في المعنى.[1]

وثمّة مثال في كلمة التّقاوي الّتي يستخدمها الرّيف المصري بمعنى البذور، والعودة إلى أحداث التّاريخ تؤكد أن استعمال هذا اللّفظ للدّلالة على البذور لم يكن بسبب ما كان يقدمه الوالي الكبير:مُحَمَّد علي باشا حاكم مصر في ذلك الزمان من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.حيث يذكر المقدسي في كتابه:أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (من علماء القرن الربع الهجري) يقول في حديثه عن دخل إقليم مصر: "يعمد الفلاح إلي الأرض،فيأخذها من السلطان ويوزعها،فإذا حصد ودرس وجمع رشمت بالعرام وتركت ثم يخرج الخازن وأمين السلطان تقوية،فيزاد في كرى الأرض،ويعطى مابقي للفلاح،وفيهم من يأخذ من السلطان تقوية فيزداد في كرى الأرض بقدر ما اقتطعه." [2]

2 ـ التطور الصوتي: كأن تكون كلمتان كانتا في الأصل مختلفي الصورة والمعنى ثم حدث تطور في بعض أصوات إحداهما فاتفقت لذلك مع الأخرى في أصواتها،وهكذا أصبحت الصورة الّتي اتحدت أخيرا مختلفة المعنى أي صارت لفظة واحدة مشتركة بين معنيين أو أكثر. ومثال ذلك ما روى عن أنّ : مرد: أقدم وعتا ومرد: الخبز–لينه بالماء.

وليس الأمر مقصورا في أثر التطور الصوتي في نشوء المشترك اللفظي على اللّغة العربية وحدها بل إن هذا الأثر عن طريق التطور الصوتي—يشيع في جميع اللغات الإنسانية.

[1] ينظر حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة لحديثة، ص 181.

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص 182.

ثانيا: العوامل الخارجيّة. أما العوامل الخارجية فتمثل فيما يلي:

1 ـ تعدّد اللّهجات واختلاف البيئات.

يمكننا القول أنّ الكثير من المعاني المجازية الّتي أسلفنا القول عنها قد نشأت في بيئات مختلفة ولم يلتفت إليها اللّغويون ولم ينتبهوا إليها في أثناء جمعهم للّغة ولم يذكروا منها إلا الأمثلة اليسيرة الّتي نبهوا إلى أن المعنى كذا نشأ في بيئة بعينها،والمعنى كذا نشأ في بيئة أخرى، ومن هذه الأمثلة ما رواه أبو زيد في قبيلة تميم،أنّها كانت تستعمل كلمة الألفت للدّلالة على الأعسر الّذي يعمل بيده اليسرى،كأنّ فيه التفاتا من اليمنى إلى اليسرى،أما قبيلة قيس، فكانت تطلق هذه الكلمة الألفت،للدلالة على الأحمق، ولعلّ قيسا كانت ترى في الألفت التفاتا ولكن ليس من اليمين إلى اليسار،وإنما من الكياسة إلى الحمق وورد في كتب اللّغة أن عامة العرب تطلق كلمة:السّرجان وكذا: السّيدعلى الذئب، في حين تطلقها قبيلة هذيل على الأسد. كما روى الأصمعي أن عامة العرب كانت تطلق كلمة السليط على الزيت، وأما أهل اليمين فكانوا يطلقونه على دهن السمسم فقط.

2 ـ اقتراض الألفاظ من اللغات الأجنبية:

وقد حدث هذه الاقتراض في اللّغة العربية القديمة ومن أمثلته فيها كلمة السكر نقيض الصحو، وفيها–أيضا–أن كل شق سد فقد سكر،والسكر سد الشق.والمعنى الأول عربي، أمّا الثاني فهو معرّب من الأرامية :Sakkar وقد فطن إلى هذا شهاب الدين الخفاجي،حيث قال:لا يضرّ العرب كونه موافقا للّفظ عربي،كسكر،فإنه معرب،و أن كّل عربي المادة،بمعنى أغلق.قال الله تعالى: {سكّرت أبصرنا} الحجر 15 ومن أمثلة ذلك أيضا في اللّغة العربية كلمة:الحب بمعنى الوداد وهو حبّ الشيء، وفيها كذلك الحب الجرة،الّتي يجعل فيها الماء،والمعنى الأول عربي أصيل،أمّا الثاني فهو مستعار من الفارسية،لكلمة مماثلة تماما للفظ العربي.

المشترك اللّفظي عند العلماء المحدثين:

اختلفت وجهات نظر العلماء المحدثين في المشترك اللفظي على النحو الّذي عرضناه للعلماء العرب القدامى حيث تباينت وجهات نظرهم ما بين المنكرين للاشتراك اللّفظي وبين الموافقين والقائلين بوجوده. وقد أفاد هؤلاء العلماء من معطيات الدراسات الدّلالية الحديثة بوجه خاص وبالنظريّات اللّغويّة الحديثة بوجه عام،ويمكننا أن نميز بين هؤلاء العلماء من خلال التميز بين أربعة أنواع للمشترك اللفظي،نقدمها على النحو الآتي:

1 ـ يرى أصحاب هذا الرأي أن مفهوم المشترك اللفظي يعني وجود معنى مركزي للّفظ تدور حوله عدة معان فرعية أو هامشية،وقد عرض لهذا الرأي اللغوي:نيداNida في كتابه: Componenatial analysis of meaning(التحليلات التكوينية للمعنى)حيث ذكر بأنّ المعاني الفرعية أو الهامشية تتصل بالمعنى المركزية،و بعضها ببعض عن طريق وجود عناصر مشتركة معينة و روابط من المكوّنات التشخيصية،وهو يرى أن المعنى المركزي يتصل بمعنى الكلمة إذا وردت منفردة مجردة عن السياق،وهو الّذي يربط عادة المعاني الأخرى الهامشية،وهو يمثل لنا لوجهة نظره السابقة بالأمثلة الآتية:

كلمة: Coatالّتي وردت في التعبيرات الثلاثة الآتية:

1/Bill put on his coat

2/the dog has a thick coat of fur

3/the, house has a fresh coat of paint

2 ـ يرى أصحاب هذا الرأي أن تنوع المعاني والدلالات إنّما يكون بحسب المادة ووظيفتها.

ويعدّ أولمان Ullmann هو صاحب هذا الرّأي،وأطلق عليه التغيّرات في الاستعمال أو جوانب متعددة للمعنى الواحد.

3 ـ ويرى أصحاب هذا الرّأي أنّ دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى إنما هو نتيجة لاكتسابها معنى جديدا أو معاني جديدة، ويمكن تسمية هذا النوع تعدّد المعنى نتيجة تطور في جانب المعنى، أو (كلمة واحدة–معنى متعدد) وقد مثّل لهذا النوع اللّغوي أولمان بالكلمة: Operationالّتي تعد كلمة واحدة في عرف متكلمي اللّغة الإنجليزية على الرغم من أنها حين تسمع منعزلة عن السّياق.

4 ـ ويرى أصحاب هذا الرأي أن نشوء المشترك اللّفظي إنمّا حدث بسبب التطوّر الصّوتي ويطلقون على ذلك: تعدّد المعنى نتيجة تطوّر في جانب اللّفظ،أو كلمات متعددة–معان متعددة، ويمكن التمثيل لهذا النوع بكلمات: Sea بمعنى بحر،See – toب معنى: يرى،see بمعنى قصر الأسقف. ويمكن التّمثيل لهذا النوع في اللّهجات العاميّة بكلمة قلم الّتي تفيد أداة الكتابة وكذلك ألم بقلب القاف همزة للدلالة على ذات أدلة الكتابة الّتي تتطابق مع ألم بالهمزة الأصلية الّتي تدل على الألم والمعاناة في العامية والفصحى على السواء.

أهميّة المشترك اللّفظي وقيمته اللّغويّة:

–يسهم المشترك اللّفظي في التّأكيد إسهام اللّغة واستطاعتها في التّعبير عن الأفكار المتعدّدة بواسطة هذه الوسيلة القادرة على تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة حيث تتمكن الكلمات بفضل هذه الوسيلة من اكتساب نوع من المرونة والطواعية، واستمرار قابلية الاستعمالات الجديدة دون التضحية بالمعاني القديمة أو فقدانها.

– الاستفادة من الغموض واستغلاله كخاصة من خواص الأسلوب،وهو أمر وجد في الآداب القديمة،ومازالم وجودا في الآداب الحديثة.

وكذلك الحال في قول أبي تمام الّذي استغل هذا الاشتراك اللّفظي في عمل سجع صوتي بديع ينبه به السامع ويثير دهشته فجاء بكلمة يحيا للدلالة على الحدث المقرون بالزمن المضارع،وكلمة يحيى الثانية للدلالة على العلم وهو: يحيى بن عبد الله.

ومن أمثلة استغلال المشترك اللّفظي في التلاعب بالألفاظ،وتوظيفه في الأسلوب الحكيم:دخل حذيفة على عمر بن الخطاب،وكان أمير المؤمنين،فسأله عمر السؤال التقليدي:كيف أصبحت فأجاب حذيفه:أصبحت أحبّ الفتنة.وأكره الحقّ وأصلي بغير وضوء ولي في الأرض ماليس لله في السماء،وعندما سمع الخليفة عمر هذا الردّ غضب، ودخل علي بن أبي طالب فقال: والله لقد صدق يا أمير المؤمنين فقد أصبح يحب الفتنة: أي ماله وولده:{إنما أموالكم وأولادكم فتنة} الأنفال 28 وأصبح يكره الحق: أي الموت... ويصلي بغير وضوء أي يقول: اللّهم صل على سيّدنا مُحَمَّد،وله في الأرض ما ليس لله في السماء:أي له زوجة وولد.[1]

-تلجأ اللّغات الإنسانية بوجه عام إلى استخدام ألفاظ المشترك اللّفظي في كثير من تعبيراتها وبخاصة في نقل أعضاء الجسم في دلالات مجازية لسدّ عجز لفظي في معاجمهم وثرواتهم اللّفظية وأمثلة ذلك كثيرة مثل:رجل الكرسي،يد الفنجان أو الكوب،وأنف الجبل،وعين الإبرة،وحاجب الشمس،ولسان الميزان وصدر النهار .... إلخ

الإجراءات الّتي وضعها العلماء لمواجهة الأثار السلبية للمشترك اللفظي:

ليس من شك في أنّ دلالة اللّفظ الواحد على الرغم مما عرضنا له من إيجابيات كثيرة وقيم لغوية هامة تعود على اللّغة بالنفع والفائدة ، فإنّ ثمّة أثارا سلبية تحدث أيضا بسبب ما يحدث للمشترك اللفظي من ارتباك وتشويش وخلط يعوق التفاهم والتواصل بين المتكملين والمستمعين ،حيث تكتنف الدّلالات المتعدّدة في أذهان المستمعين غموضا وصعوبة في اختيار الدّلالات والمعاني لتكون هي المناسبة أو المتوافقة مع الموقف اللّغوي وسياقه. وتواجه اللّغة-أية لغة-هذا الصراع بين الدّلالات بإجراءات حاسمة أو صارمة أطلق عليها أولمان جملة الإجراءات السريعة ونذكر منها.

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 192.

أولا: هجر أحد المعنيين للفظة المشترك اللّفظي وإهماله ليبقى معنى واحد للكلمة، يحدث هذا الهجر أو التّرك والإهمال بعد حدوث احتكاك بينهما ينتهي بهذا الهجر.ويذكر العلماء شروطا لهذا الاحتكاك وهي:

1) أن تكون الفترة الزمنية واحدة،حيث يستحيل القول بوجود احتكاك،وتأثر أحد المعنيين بتضاؤله وانزوائه أمام معنى متمكن في عقول أصحابه وأذهانهم.

2) ضرورة انتماء المعنيين إلى بيئة لغوية ومقام لغوي واحد وفي تراكيب نحوية واحدة، ومن ذلك كلمة: دقيق الّتي تفيد الدّلالة على ذلك الطحين من القمح ويُصنع منه الخبز بأنواعه وكلمة دقيق الّتي تفيد الدّلالة على الوصف، وكلمة قدح: الّتي تفيد الدّلالة على الكوب الّذي يُشرب منه الماء ونحوه أو الوعاء الّذي يكال به البذور بأنواعها تارة والّتي تفيد دلالة الفعل بمعنى الإساءة والطعن في الهجاء.

ثانيا: بقاء المعنيين للفظة المشترك اللّفظي وذلك لما يقدمه السيّاق اللّغوي والقرائن الخارجية المصاحبة الّتي يعتمد عليها في تحديد الدّلالة المطلوبة أو المحدّدة بسبب السيّاق اللّغوي والقرائن المصاحبة لها عند مستخدميها، فالمتكلم إذا قال: فقأت عين فلان فيتوجه انتباه المستمع نحو العين المبصرة.

ثالثا: تغيير صيغة أحد المعنيين للفظة المشترك اللّفظي بحيث تأخذ شكلا خاصا بها يميزها عن صيغة الدّلالة الأخرى. ومن أمثلة ذلك في العربية: كلمة دقيق في اللّهجات المصرية حيث تنطق هكذا:دئيق للدّلالة على مطحون القمح المعروف بكسر الدال،ولكنهم يقولون:دئيق على الدقة من الشيء في عبارة: كلام دقيق بفتح الدال.

رابعا: تلجأ اللّغة أو اللهجة إلى الإبدال الصوتي لكلمات المشترك اللفظي تفاديا من اتفاق الدّلالة مع دلالات ألفاظ أخرى موجودة. ومن أمثلة ذلك في اللّهجة المصرية كلمة: ذم بمعنى الهجاء والشتم حيث قلبت الذال زايا.فهم ينطقونها:زم للتخلص من الأصوات الأسنانية بعامة في ضوء

قانون السهولة والّتيسير وتخفيف المجهودا لعضلي في أثناء النطق. ولم يشأ المصريون أن يبدلوا الذال دالا لأنها هكذا ستتفق مع كلمة:دم،وينشأ مشترك لفظي جديد أكثر إبهاما وأشقّ فهماواستيعابا.

خامسا: تخصيص مجالات الاستعمال في حقوقه الدّلالية المحددة يبقي على الدّلالات المختلفة لألفاظ المشترك اللفظي ولا يحدث بينهما ثمة احتكاكات أو تأثيرات وتبقى كلّ دلالة باقية وقائمة بدورها ومعناها في بيئتها اللّغويّة دونما طغيان دلالة بيئة على دلالة بيئة أخرى،حيث تختص لفظة الاشتراك اللفظي عند المجموعة المهنية أو الفئة اللّغويّة بدلالة لا يمكن الاستغناء عنها. ومثال ذلك كلمة:جذر،حيث اشتركت دلالات كثيرة مع هذه اللفظة دونما صراع فيما بينهما فهي عند الفلاحين تفيد دلالة جذرا لنبات ونحوها.وهي عند الطبيب،تعنى جذر الأسنان مثلا، ومعنى آخر عند علماء الرياضيات وتحافظ كل دلالة لهذا المشترك اللفظي لاختصاصها بمهنة معينة.

كما يقول فندريس:إننا نقول لإحدى الكلمتين أكثر من معنى واحد:Homonymie في وقت نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما إذا لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة الّتي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الّذي يعينه سياق النصّ ، أما المعاني الأخرى فتمحى وتتبدد،ولا توجد إطلاقا،فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول: الخياط يقص الثوب.أو الخبر الّذي يقصه الكلام صحيح.أو البدوي خير من يقص الأثر فإننا نستعمل في الواقع ثلاث كلمات لا يربط بعضها ببعض أي رباط لا في ذهن المتكلم ولا في ذهن السامع.

المبحث الثالث: ظاهرة التّضاد في اللّغة العربية.

يُعدّ التضادّ من الظواهر اللّغويّة في اللّغة العربية،الّتي تمثّل جمعا للمعنيين للفظة واحدة ولكن ذلك لا يحدث في سياق لغوي واحد،وقد اهتم العلماء العرب بهذه الظاهرة اهتماما واضحا على الرغم من إنكار فريق منهم لها ورفضهم لوجودها في اللّغة العربية.

ويعرف أبو الطيّب اللّغوي(ت 351هـ) الأضداد بقوله: "الأضداد جمع ضد كل شيء ما نافاه نحو: البياض والسواد.والسخاء والبخل،والشجاعة والجبن،وليس كل ما خلف الشيء ضدا له ألا

ترى أن القوة والجهل مختلفان وليس ضدين،وإنما ضد القوة الضعف،وضد الجهل العلم،فالاختلاف أعم من التضاد إذا كان كل متضادين مختلفين وليس كل مختلفين ضدين." [1]

يجدر بنا أن نوضّح أنّ ظاهرة الأضداد ليست مقصورة فحسب على اللّغة العربية ولكننا نجدها أيضافي اللغات الأجنبية، وفي ذلك يقول أولمان: "من المعروف أنّ المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنبا إلى جنب لقرون طويلة،بدون إحداث أو إزعاج،فالكلمة اللاتينية:Altus مثلا قد يكون معناها: مرتفع أو منخفض. وهذا مرجعه إلى الإدراك النسبي للمدى،وهو إدراك تتحكم فيه وجهة نظر المتكلم."

أولا: المنكرون للتضاد من العلماء العرب القدامى:

يقول ثعلب (ت 291هـ): ليس في كلام العرب ضد لأنّه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا ولعل الجزء الّذي ألفه في الأضداد كان بقصد إبطال الأضداد في اللّغة العربية.

-ابن درستويه(ت347هـ) ألف كتابا في رفضه للأضداد أو في إبطال الأضداد.

-كما روى ابن سيدة الأندلسي(ت458هـ) أنّ أحد شيوخ أبي علي الفارسي(ت377هـ) كان كذلك ينكر الأضداد.

أما الجواليقي فيقول: "المحقّقون من علماء العربية ينكرون الأضداد ويدفعونها قال أبو العباس، أحمد بن يحي ثعلب: ليس في الكلام ضد،قال: لأنه لوك ان فيه ضد،لكان الكلام محالا يرجع إلى أصل واحد،فالصارخ المستغيث. والصارخ المغيث لأنه صراخ منهما....والقرء الوقت، فاحتمل أن يكون للحيض والطهر." [2]

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 198.
[2] المرجع نفسه ، ص 201.

وهذا هو ما وقف عليه القالي في قوله:"الصريم:الصبح،سمي بذلك لأنه انصرم عن الليل والصريم:الليل لأنه أنصرم عن النهار، وليس هو عندنا ضدا، وقال كذلك:النطفة الماء تقع على القليل منه والكثير وليس بضد. حيث وقف على المعاني الأصلية لتلك الكلمات الّتي ذكرها فأنكر من ثمّة كونها ضدا.

ثانيا: القائلون بوجود التضاد.

أمّا العلماء العرب الّذين توسعوا في الأضداد، بل بالغوا في قبولهم لهوياتي في مقدمة هؤلاء أبو حاتم السجستاني،وقطرب، وابن الأنباري، وهم أنفسهم الّذين بالغوا –أيضا–في قبول ظاهرتي الترادف والمشترك اللفظي.

لقد أفرط هؤلاء العلماء في التماس الأضداد في معاني الكلمة الواحدة،أو العبارة ونحوها،ولم يراعوا ضرورة اتحاد الكلمة ومتعلقاتها،حيث إنّ أدنى تغيير فيها أو في معلقاتها يخرجها هن كونها من الأضداد الّتي تحمل المعنيين المتضادين بذاتها. ومن ثمّ فإن ما عدّه بن الأنباري من الأضداد في: ظاهر عنك،بمعنى:زائل،وظاهر عليك بمعنى:لازم من الأضداد ليس منه،وكذلك الأمر فيما عدّه كلّ من قطرب وابن الأنباري وأبى الطيب اللغوي،من الأضداد في عبارة:راغ على بمعنى:أقبل،وراغ عن بمعنى ولى.

كما يُعدّ أيضا أحمد بن فارس(ت 395هـ)من القائلين بالأضداد في اللّغة العربية،وهو يصرح برأيه ويدعمه بتأليف يدافع به عن وجود هذه الألفاظ في اللّغة العربية فيقول:وأنكر ناس هذا المذهب أن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده. وهذا ليس بشيء وذلك أن الّذين رووا أنّ العرب تسمى المتضادين باسم واحد. وقد جردنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا ردّ ذلك ونقضه،فلذلك لم نكرره.

فإنّ ألفاظ الأضداد في اللّغة العربية،لم تنشأ في بيئة واحدة وفي زمان واحد،وفي ظروف وملابسات وسياقات واحدة،وأنّ الأصل فيها جميعا هو الدّلالة على معنى واحد غير أن عواملا

وظروفا كثيرة هي الّتي أدّت إلى ظهور مثل هذه الألفاظ الّتي تدل على المعاني المتضادة. ونقدم فيما يلي عرضها لهذه العوامل والظروف الّتي أسهمت في ظهور ظاهرة الأضداد في اللّغة العربية على النحو الآتي:

1 ـ التعميم للمعنى الأصلي:

تنشأ الألفاظ في اللّغة أول ما تنشأ، وهي تفيد دلالات عامة ما تلبث تلك الدلالة العامة أن تخصصها لهجة قبيلة أو بيئة لغوية تشترك مع اللغة المشتركة في أرومتها تخصصها في معنى ويحدث لهذه الدّلالة العامة تخصيص آخر في الدّلالة تتخذ اتجاها مضادا للاتجاه الذي سلكته أختها الأولى من تخصيص، وهكذا يتوافر للفظة الواحدة معنى عام في اللّغة الأم وينشأ أحدهم في لهجة وينشأ الآخر في لهجة أخرى والنتيجة النهائية لمثل هذا الأمر ظهور دلالّتين أخرتين متضادين في لهجتين من اللّغة الأم. [1]

وقد وردت أمثلة كثيرة في مؤلفات الأضداد الّتي ألفها العلماء العرب يمكن تفسير دلالتها على الضدية في ضوء هذا العامل نذكر منها: كلمة الذّفر بمعنى:الريح الطيبة،كلمة الطرب بمعنى:الفرح والحزن،وكلمة المأتم بمعنى:النساء يجتمعن في الخير أو الشر. [2]

2 ـ التفاؤل:

يُعد التفاؤل والتشاؤم من الغرائز الإنسانية،الّتي تؤثر على سلوكه وعاداته، ويوجه هذا التفكير للتّعبير بألفاظ دون سواها، وذلك لما لتفاؤل ومقابلة التشاؤم من سلطان قوي في اختيار الألفاظ ذات المعاني المعينة، ومن هنا يقبل الناس على الكلمات الّتي تحمل البشارات والأفراح السارة،

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 208.
[2] المرجع نفسه ، ص 209.

وينفر من التحدّث بالكلمات المعبّرة عن الموت والمرض والشدائد،ويلجأ إلى الكناية عنها بكلمات حسنة المعنى،وقريبة إلى الخير.

وهذه الظاهرة النفسية التفاؤل هي ما عالجها علماء اللّغة تحت مسمّى اللامساس أو الحظر،والكلمة ترجمة لكلمة:Tabooومعناها كلّما هو مقدّس يحرم لمسه أو الاقتراب منه من الأشياء بسبب الاعتقاد الخرافي في سحر الكلمة.

أمّا عن مدى تأثير التفاؤل كعامل من عوامل ابتعاد الأمم والشعوب عن استعمال الكلمات الّتي تثير في النفوس العرب شعورا بالرهبة والخوف، فيلجؤون إلى استبدالها بألفاظ ذات معان ودلالات مريحة إلى النفوس وتطمئن إليها القلوب فيستعملون كلمات ذات دلالات متفائلة لتفيد في النّفس.ومن بين هذه الكلمات نذكر ما يلي:المفازة، السليم، البصير، المسجور أي (المملوء والفارغ)

وقد شاعت أمثلة أخرى على ألسنة العامة في لهجات الخطاب المعاصرة جاءت ألفاظها للدلالة على التفاؤل ومن ذلك قول العامة: فلان بعافية وهو في الحقيقة ليس كذلك وإنما يعاني المرض، ونحو ذلك من الكلمات والعبارات الّتي يتجنب فيها المتكلم الألفاظ المفزعة أو المرعبة للهواجس ونحو ذلك من المشاعر والتوجسات. [1]

2 ـ التهكّم:

يُعدّ التهكّم وما يصاحبه من السّخرية واحدا من العوامل الّتي أسهمت في نشوء ألفاظ الأضداد حيث يعمد التهكّم إلى استعمال ألفاظ الاستحسان والتقريظ في سياقات التهكّم أو في الدلالة على ضدها من الاستهزاء ونحوه.

وقد وردت ألفاظ كثيرة من هذا القبيل ذكرها علماء العرب في مؤلفاتهم للأضداد منها:

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 216.

كلمة التقريظ: تفيد الدّلالة على المدح للحي على عكس كلمة التأبين الّتي تكون لمدح الميت، وكلمة القشيب: تدل على الجديد، ويقال: ثوب قشيب، وكذلك كلمة العاقل: تدل على ذي العقل واللّب.

3 ـ الخوف من الحسد:

ويعدّ الخوف من الحسد أيضا أحد العوامل المؤثرة في نشوء ألفاظ الأضداد في اللّغة بوجه عامّ وفي القبائل بشكل خاصّ حيث يشيع بين أفرادها الاعتقاد بالسحر والحسد حيث يتحسس المرء في اختيار ألفاظه فلا يقول كلاما مباشرا.ويبدي إعجابه بالجمال وحسن بألفاظه صريحة يخشى مستمعوها من حسده.

ويمكننا تقديم بعض الألفاظ الّتي وردت عند العلماء العرب قالوا إنها من الكلمات الأضداد والسبب في نشأة هذه العلاقة الضدية هو خوفهم من الحسد زمنها، ككلمة عين تقال للخلق،وكلمة الخشيب:للدلالة على السيف الّذي لم يصقل.وكلمة شوهاء:للدلالة على الفرس القبيح.[1]

3 ـ التطوّر اللغوي:

ويسهم التطوّر اللّغوي في نشوء الألفاظ الأضداد بأن تتطور أصوات الكلمة من كلمات اللّغة فتتحول الكلمة في بنائها الصرفي لتصبح متطابقة مع البناء الصرفي لكلمة أخرى،وتكون النتيجة أنّ الكلمتين أصبحتا كلمة واحدة لها دلالتين ومع مرور الزمن تنوسي أصل الكلمة الّتي تطوّرت ولم يعد موجودا في اللّغة إلا كلمة واحدة لها دلالتان متضادتان،وقد أورد العلماء أمثلة منها: كلمة لمق: بمعنى كتب عند قوم بني عقيل، أما عند سائر قيس فإنها بمعنى محو الكتابة ... إلخ

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 218.

كما أورد علماء العرب مثالا آخرا وهو كلمة حلح: بمعنى أقام وثبت وبمعنى زال وذهب، وقد تنبّه إلى هذا التطوّر الفرّاء من العلماء العرب القدامى.

4 المجاز والاستعارة:

يُعدّ المجاز والاستعارة من الوسائل الّتي أسهمت في نشوء ألفاظ الأضداد التي ذكرها العلماء العرب في مؤلفاتهم،ومن أمثلة هذا المجاز الّتي أوردها كلمة:أمة للدلالة على معنى:الفرد تارة والجماعة تارة أخرى، والكلمة في أصلها للدلالة على الجماعة وقد انتقلت للدلالة على الفرد من قبيل التشبيه. على سبيل المبالغة، فيقال مثلا:فلان كان أمّة وحده في رجاحة عقله وحدّة ذكائه مساويا لعقول الأمة.

5 دلالة الصيغة الصّرفية الواحدة على المعنيين:

دلالة صيغة:فعول على معنى فاعل ومفعول فقد أورد العلماء العرب كثيرا منها ومن ذلك كلمات:شكور،غفور،كفور،وجميعها للدلالة على:شاكر،غافر...إلخ.

أمّا دلالة صيغة فعيل على المعنى: فاعل و مفعول ومثال ذلك: الكرى بمعنى المكترى.

وأمّا صيغة مفتعل ومفتعل من الأجوف ومضعف الثلاثي

وعلى الرغم ممّا أسلفناه من موقف في وجود ظاهرة الأضداد في اللّغة العربية إلاّ أنّنا نجد في العصر الحديث مستشرقين ألمانيين وهما: ردسلوب Th.M.redslob وفريدك Friedrich يقومان بعمل عن الأضداد في اللّغة العربية ويوضحان بأنّ العرب يفهمون من كلمة: ضدّ الكلمة الّتي تدل بذاتها ومن غير إضافات أخرى على المعنيين ويفهم كل معنى مقصود من سياق الكلام.[1]

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 225.

أولا: ردسلوب redslob فإنه يقسّم ألفاظ الأضداد إلى قسمين:

1) كلمات مفردة.

2) تعبيرات وجمل.

ويحصر ردسلوب عوامل كثرة الأضداد في اللّغة العربية إلى ما يلي:

1) ثراء اللّغة العربية غير العادي.

2) التطور الغير المشروط للمعاني

3) كثرة الاشتقاق من الأسماء.

4) اختلاف اللهجات.

5) الصنعة والتكلف والاختراع الّذي تمّ علي يد اللّغويين. [1]

ثانيا: جيسيgiese: أمّا جيسي فقد ذكر اختلاف العلماء العرب في وقوع الأضداد في اللهجة الواحدة، وحدد موضع الأضداد في الشعر العربيا لقديم، وقد رفض الكثير مما ذكره العلماء من أمثال ابن الأنباري من الأضداد؛ لأنه لم يعثر لها على شواهد إلا في كلمتي:أمم،ودخلل عند ابن الأنباري.

كما ذكر عدداً من الكلمات الّتي انتقلت فيها الدّلالة عن طريق المجاز،مثل كلمة:الناهل للدلالة على الريان والعطشان،وأنّ المعنى الثاني هو الأصل والمعنى الأول مجاز مرسل،باعتبار ما يكون؛ لأن الناهل هو العطشان الذاهب إلى الشرب فهو ريان في النهاية. [2]

[1] ينظر حسام البهنساوي ، علم الدلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة، ص 225.

[2] المرجع نفسه ، ص 226.

الفصل الثّاني:

دراسة قضايا.

1 ـ أسباب التغيّر الدّلالي.

2 ـ أشكال التغيّر الدّلالي.

3 ـ أنواع التغيّر الدّلالي.

ـ التّرادف.

ـ المشترك اللّفظي.

ـ التضادّ.

عوامل التطوّر الدّلالي:

مفردات اللّغة لا تثبت على حال، بل تتغيّر باستمرار،إذ يلاحظ أنّ اللّغة ليست جامدة وكلّ التغيّرات التي تكتنفها تسير وفق قاعدة أساسية مفادها أن هذه التغيّرات تقع على مرحلتين: مرحلة التغيير أوالتجديد، ويظهر هذا في الكلام الفعلي، وهو عمل فردي، ولكن هذا لا يعني أنه محصور في فرد واحد،ومرحلة انتشار التغيّر، فإذا ما سمع الشيء المبتدع علق بالذهن،ويترتّب على ذلك استعمال آخرين له مما سمح بدخوله نظام اللّغة إذا تسجّل الكلمات ومعانيها في معاجم اللّغة .[1]

يرى إبراهيم أنيس أن عوامل التطوّر في الدلالة نوعان:أحدهما التطوّر اللاشعوري،ويتم في كلّ لغة،وفي كلّ بيئة،ولا يفطن إليه إلا بعد المماثلة بين عصور اللّغة،وهذا العامل هو الاستعمال،والآخر يقصد إليه قصدا متعمّدا كقيام المجامع اللّغوية والهيئات العلمية والمهرة من أصحاب الخبرة اللّغوية بخلع دلالات على بعض الألفاظ التي تطلبها الحياة المبتذلة المتطوّرة،وهنا يأتي دور الابتداع،وهذا هو عامل الحاجة وهو أقل أثرا في اللّغات على نحو عام.

ويؤلف التغيير الدلالي ظاهرة واضحة المعالم ترجع إلى أسباب كثيرة، يتصل بعضها باستخدام الألفاظ،ويعزى بعضها إلى تغيّر الأصوات والقواعد،ويتعلّق بعضها بدرجة الوضوح في دلالات الألفاظ، كما تجتمع عدّة أسباب على الكلمة، فتؤدي إلى تغيير دلالتها،وهذه الأسباب ترجع إلى عاملين وهما: الاستعمال والحاجة:

أولا:الاستعمال:

يقصد به:" استعمال اللّغة في الماضي والحاضر وانتقالها بين الأجيال فمعاني الألفاظ التي كانت مستخدمة في العصر الجاهلي لم تبق جامدة على حالها بعد الإسلام بل طرأ عليها تغيّر كثير".[2]

[1] عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، جامعة القدس المفتوحة،عمان،ط1،1998، ص 276.

[2] نوال كريم زرزور وكاظم فتحي الراوي،أحمد بن فارس وعلم الدلالة، مجلة آداب المستنصرية، ع 12، 1985، ص 154.

فالدّلالات الإسلامية لون من ألوان التطور الذي عرض للّفظة العربية القديمة فتحولت إلى شيء جديد آخر، يقتضيه الدّين الحنيف والبيئة الإسلامية الجديدة، مثل ألفاظ الصلاة والصّوم والحجّ والزكاة والإمام والوالي والمرتزقة والخليفة وغيرها الكثير.

وهذا هو شأن اللّغة، فألفاظ كثيرة في العصر الجاهلي كانت تحمل دلالات خاصة وبمجيء الإسلام تطوّرت هذه الدلالات وصارت تحمل دلالات جديدة.

وقد يتطلّب الاستعمال في بعض الأحيان غلبت الكلمات الأجنبية حتى نتعجب عندما نسمع أنها غير عربية نحو لفظة (قماش) فهي فارسية الأصل،(التليفون) هي لفظة فرنسية وغيرها من الألفاظ المتداولة في لغتنا، فاللّغة وسليه التفكير وأداته،ويعين أسلوبها الاستعمال، فيرى أنيس أنّ هذا العامل (الاستعمال)أحد العوامل الرئيسية في التطوّر الدلالي قائلا:

" أنّ الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن من زجاج أو بلور، فيراها النّاس من وراء تلك الخزائن، ثمّ يكتفون بتلك الرّؤية العابرة،ولو أنّها كانت كذلك لبقيت على حالها جيلا بعد جيل دون تغيير أو تحوّل،ولكنّها وجدت ليتداولها الناس،وليتبادل بها في حياتهم الاجتماعية[1]".

وقد وافقت نظرته هذه النظرات المعاصرين له،ومن جاءوا من بعده،أمثال أحمد عبد الرحمان حماد ومحمد مصطفى رضوان [2]إذ عدّ أحمد حماد" الاستعمال اللغوي "أحد العوامل المباشرة المؤثرة في تغيّر المعنى قائلا: " أنّ الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن الزجاج حتى يراها الناس من ورائها،ولو أنها صارت كذلك لبقيت الألفاظ على حالها جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصرا ولما تطوّرت أو واكبت التطوّر ولكنّها وجدت ليتداولها الناس كما يتداولون كثيرا من أغراضهم في مجتمعاتهم.[3]

ولخّص أنيس عناصر هذا العامل الرئيسي " الاستعمال " على النحو الآتي:

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،ط1984،5، ص 134.

[2] مُحَمَّد مصطفى رضوان، نظرات في اللغة، مطابع دار الحقيقة، بنغازي،ط1، 1976، ص 136.

[3] ينظر أحمدحمّاد، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، د ط، د ت، ص. 119.

سوء الفهم:

وقد عدّه عنصرا من عناصر " الاستعمال " وتابعه في ذلك المحدثين كمحمد مصطفى رضوان ومحمد خضر، وأحمد حماد، بينما عدّه بعضهم عاملا رئيسا في تطوّر الدلالة، نحو: علي عبد الواحد وافي،وعبد الحميد أبو سكين، وعودة خليل أبو عودة، ونمثل على ذلك بكلام علي عبد الواحد وافي حيث يقول: " ومن عوامل التطوّر الدلالي وضوح الكلمة في الذّهن، فكلّما كان مدلول الكلمة واضحا في الأذهان، قلّ تعرضها للتغيّر، والعكس صحيح فكلّما كانت الكلمة مبهمة غامضة، كانت أكثر تعرّضا للتغيّر والانحراف.

وينضوي هذا العنصر عند بعض الباحثين المعاصرين ضمن الأسباب اللّغوية، أمثال عبد الكريم مجاهد، إذ يقول فيه "إنّ وضوح معنى الكلمة في الذهن يقلل من فرصة تعرضّها للتغيّر وكلّما كان مدلول الكلمة مبهما غامضا، كثر تقلبه وضعفت مقاومته لعوامل الانحراف والتغيّر ، وأعطى مثالا على ذلك كلمة "عتيد" فهذه الكلمة تكون عرضة للانحراف، معناها اتساعا أو ضيقا أو نقلا لمعنى آخر فهذه الكلمة قد تستعمل في الوقت الحالي بمعنى عريق أو عتيق ولكنها تعني الحاضر المعد".[1]

وقد سمّى رمضان عبد التّواب هذا العنصر " سوء الفهم " بالقياس الخاطئ، وذلك لأنّ الإنسان يقيس ما لم يعرف، على ما عرف من قبل، ويستنبط على أساس هذا القياس، فيصيب في استنباطه حينا، فيستخرج دلالة جديدة قد تصادف الشيوع والذيوع من الناس نحو كلمة " عتيد " تطوّرت دلالتها في أذهان النّاس إلى معنى " عتيق " و " عتيد " بسبب القياس الخاطئ على هاتين الكلمتين.[2]

ويقصد بالقياس الخاطئ، أنّ الفرد قد يأتي بكلمة من عنده فتنتشر ويكثر استعمالها ويقلّده في ذلك غيره من النّاس، ولم يعرف أنّها خطأ[3] ، ومن جملة هذا كلمة " المخابرة " التي كانت تعني المزارعة ببعض

[1] ينظر رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطّور اللّغوي، مكتبة زهراء الشّرق،ط2، 2000، ص 42.

[2] ينظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهرة وعلله وقوانينه،مكتبة الخانجي، القاهرة،ط3، 1997، ص 112.

[3] ينظر رمضان عبد التّواب، لحن العامة والتطور اللغوي، ص 42-43.

ما يخرج من الأرض، وعن رسول الله ﷺ أنّه نهى عن المخابرة المؤكدة، وهي الآن تستعمل بمعنى حدوث سؤال وجواب بين جهات عدة حول موضوع ما.[1]

وقد وصف إبراهيم أنيس سوء الفهم بأنه تلك التجربة التي يمر بها كل منّا، حين يسمع اللّفظ للمرّة الأولى فيسيء فهمه و يوحى إلى ذهنه دلالة عرفية ،لا تكاد تمتّ إلى ما في ذهن المتكلم بأيّة صلة، ثم قد لا تتاح لهذا السامع فرص أخرى لتصحيح خطئه ويبقى اللّفظ مرتبط بتلك الدّلالة الجديدة.[2]

وليس من غير الشائع أن تتّم هذه الظاهرة بين عدد من الأفراد كلّهم يسيئون فهم الدلالة بطريقة واحدة، واتجاه واحد، فيتطوّر اللّفظ عندئذ تطوّرا مفاجئا تحفظه الأجيال، ويرغبون إليه ويتأثرون به في دلالته الجديدة، وبخاصة إن اقترن ذلك بإشارة يد أو غمزة عين أو نحوهما ، مما يؤدّي إلى التطوّر ولو كان ما اقترن به غير مقصود.[3]

وسبب ذلك قد يكون إلى قلّة شيوع اللّفظ أو استعماله على أساليب معيّنة، ولا يقع في تجارب كثيرة فتصاب دلالته بشيء من الغموض، ويصبح أكثر عرضة إلى الانحراف في الدّلالة من الألفاظ الأخرى.[4]

وهذا التغيّر الفجائي يتّم عادة بين الشعوب البدائية، حيث الانعزال بين الأفراد،فتسود الدّلالة الجديدة، وهذا لا يعني بالضرورة أن تندثر الدّلالة الأصلية، فقد تعيش الدلالة الأصلية معها جنبا إلى جنب، ويظنّ النّاس أنّ اللّفظ له دلالتان مستقلتان، يمكن استعماله في أيّهما، وهنا يظهر المشترك اللّفظي في اللّغة بصورته الأصلية الصحيحة.[5] وانتهى أنيس إلى أنّ سوء الفهم في الحقيقة ليس إلا نتيجة للقياس الخاطئ إذ يقول: " وليس سوء الفهم في الحقيقية إلا نتيجة تلك العملية الذّهنية التي تسمى بالقياس الخاطئ، والتي تلازم كلا منّا في مراحل الحياة فقد تتّم بين الكبار، وذلك لأننا كثيرا ما نعتمد في

[1] ينظر إبراهيم السامرائي، التطّور اللّغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 1997، ص 126.
[2] إبراهيم أنبس، دلالة الألفاظ، ص 135.
[3] ينظر المرجع نفسه، ص 135.
[4] ينظر المرجع نفسه، ص 135.
[5] ينظر المرجع نفسه، ص 135 - 136.

فهم ما نسمع أو نقرأ من ألفاظ جديدة على ما سبق لنا سماعه واختزانه من ذخيرة لفظية وما سبق أن تلقيناه عن طريق المشافهة، وما تعلّمناه من لغة أهالينا، فيقوم كل منّا باستنباط جديد على أساس القديم.[1] وذكر رمضان عبد التّواب أن هذه الظاهرة، أي ظاهرة القياس الخاطئ قد عرفها علماء العربية القدماء، وسمّوها " بالتوّهم أو الحمل" أو" القياس الخاطئء". [2]

وقد ذكرها من القدماء العرب سيبويه إذ يقول: " فأمّا قولهم مصائب، فإنه غلط منهم وذلك أنّهم توهموا أن مصيبة فعليه، وإنما هي مغلة. "[3] إذا فمن الأسباب المعروفة في تطوّر اللّغات ما يقدّره اللغويون من نشأة " أخطاء لغوية " تظلّ دون تصحيح لظروف معينة، إلى أن تصبح مستوى لغويا مقررا بعد ذلك، وإلى مثل هذا يشير ابن جنّي في الباب الذي سمّاه " أغلاط العرب " فيقول " كان أبو علي – رحمه الله –يرى وجه ذلك،ويقول: إنّما دخل هذا النّحو في كلامهم، لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها، وإنّما تهجّم بهم طباعهم على ما ينطقون فربّما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد[4].

أ– بلى الألفاظ:

يعود لعوامل تتعلّق بأصوات الكلمة فالتطوّر الصّوتي قد يكون سببا في التطوّر الدلالي أحيانا. ثبات معناها، وتغيرها يذلّل أحيانا السبيل إلى تغيّره.[5]

وقد تعرض جوزف فندريس(j.fendris) لهذه الظاهرة في معرض حديثه عن كيفية تغيّر الأفكار وأسماءها أي " كيف تغيّر الألفاظ معانيها " فذكر أنّ هناك أسبابا لتجديد المفردات، يرجع التجديد هنا إلى عارض صوتي، ومثّل على ذلك، فالتغيّرات الصوتية بتقصيرها للكلمات تعرّضها للبلى،

[1] ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 137.

[2] ينظر رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، ص 44.

[3] سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت،ط1، 1996، ج2، ص.367

[4] ابن جنّي، الخصائص، تحقيق مُحَّد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط4، 1999، ج3،ص 273.

[5] ينظر علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1944، ص 322.

مثل(OS)اللاتينية التي معناها " الفم " قد اندثرت من اللّغات الأوروبية الحديثة التي انحدرت عن اللّغة اللاتينية.[1]

وقصد به إبراهيم أنيس التطّور الصّوتي الذي يصيب اللّفظ فيغيّر صورته الصوتية، وهذا ما يجعل معنى الكلمة عرضة للتغيّر والانحراف، وهو العنصر الثاني لعامل الاستعمال ووضعه قائلا " حين يصيب اللّفظ يعطي التغيّر في الصورة ويصادف بعد ذلك أن يشبه لفظا آخر في صورته، فتختلط الدّلالتان، ويصبح اللّفظ مما يسمى بالمشترك اللفظي فتطور " السين " في كملة مثل السغب إلى حرف مناظرها في المخرج والهمس كالتاء " يستنتج لنا صورة جديدة للكلمة تماثل تمام المماثلة كلمة أخرى موجودة فعلا وتعني " الدرن والوسخ " وهي كلمة التغب ، ويترتّب على هذا التطّور الصوتي تطور دلالي ،هو أن يصبح للّفظ الواحد أكثر من دلالة واحدة.[2]

فيقرر أنيس أنّ التقارب الصوتي بين صوتين من كلمتين مختلفتين قد يفضي نتيجة لسوء النطق أو سرعته إلى تحريف يجعلها بعد ذلك من كلمات المشترك اللّفظي تنشأ من تطّور الأصوات.

وأعطى أمثلة أخرى على بلى الألفاظ مثل كلمة "القماش" المألوفة التي يذكرها الفيروز أبادي فيقول: "القماش أرذال النّاس والقماش ما وقع على الأرض من فتات الأشياء ويقول الجوهري: "القماش متاع البيت" وقد تطوّرت دلالتها حتى صارت على النحو المألوف، حين تنسب إلى الحرير الصوف خاصة وهو لا يعلم كيف تطوّرت الدّلالة في هذا المثال حتّى صارت على النحو المألوف لنا الآن.[3]

[1] ينظر جوزف فندريس،اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمّد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د ط، د ت، ص 271 – 273

[2] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 138.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 138.

ويشير أنيس إلى أنّ هذه الكلمة مأخوذة من كلمة فارسية وهي " كماش " بمعنى نسيج من قطن خشن، وتكون الكلمة العربية الأصلية قد نطقت قافها " جافة " أو " كاف " لسبب ما، فأشبهت الكلمة الفارسية وانصرفت دلالتها إلى الدلالة الفارسية بمعنى النسيج.[1]

ويحدث لبعض الكلمات أن تصاب بعوارض صوتية تقصّر من طولها، وهذا ما يبدو من عبارة أنيس التي يقول فيها يبدو أن الذي ساعد كلمة " الخيشوم " بمعنى " الفم " أنّ صورتها قد أصابها البلى فاختصرت إلى "الخشم" .[2]

وبذلك يقرر أن كثرة الاستعمال تبلى الكلمات في معناها، أي أنّه كثيرا ما تتطوّر صور الكلمات ويترتب على هذا التطوّر تغيّر أو تطوّر في الدلالة، فيصل التطوّر في الصوت مداه، فتندثر الكلمة وتفنى من الاستعمال وبخاصة إذا كانت مضمرة البيئة.

الابتذال:

العنصر الثالث للاستعمال هو الابتذال الذي يصيب بعض الألفاظ في كلّ لغة من اللّغات سياسية واجتماعية وعاطفية،[3] وممن وافق أنيس في وجهة نظره هذه، محمد مصطفى رضوان، في مؤلّفه "نظرات في اللّغة" ويظهر ذلك في قوله:"وهنالك خاصية أخرى للاستعمال هي الابتذال الذي يصيب بعض الألفاظ في جميع اللّغات لأسباب سياسية أو اجتماعية أو عاطفية. [4]

[1] ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 139.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 139.

[3] المرجع نفسه، ص 139.

[4] مُحَمَّد مصطفى رضوان، نظرات في اللّغة، ص 439.

وعدّ أحمد حمّاد[1] "الابتذال" عنصرا من عناصر الاستعمال، يصيب كثيرا من الألفاظ وذلك لأسباب اجتماعية أو سياسية أو عاطفية [2]وقد أجمل إبراهيم أنيس تلك الأسباب المتعدّدة التي تصيب الكثير من الألفاظ فتؤدي إلى ابتذالها أو انحطاطها، فجاءت عنده على النحو التالي:

1 إن بعض الظروف السيّاسية قد تتطلب الحطّ من ألقاب ورتب اجتماعية، ويشير على هذا العنصر قائلا: "ولعل أقرب مثيل لهذا هو إلغاء الألقاب والرّتب في مصر مثل (باشا، بك، أفندي) وغيرها من ألقاب تركية مرّت بها تطوّرات في دلالاتها، وانحطّ قدرها على توالي الأيام، وصارت كلمة " أفندي " في آخر عهدها ذات قدر تافه ... مثل هذا يمكن أن يقال على كلمة " الحاجب " التي كانت تعني في الدولة الأندلسية رئيس الوزراء " ثم صارت على النّحو المألوف الآن "[3].

ويشير جوزف فتدريس(j.fendris)إلى فكرة أساسية مؤدّاها أنّ هذا الانحدار الذي يصيب الكلمات أو التغيّر الانحطاطي يعكس بطريقة ملموسة الاحتقار الذّي تكنّه بعض الطبقات الاجتماعية إلى بعضها أو البغض المتبادل يتم للأوطان والأجناس، والتعصب الأعمى للجماهير، وعدم احترام المتعصبين للآراء غيرهم.[4]

وقد يفضي التهكّم والسخرية إلى تحويل المعنى وتغييره إلى الضدّ،فأصل كلمة " التعزير " في العربية التعظيم، ومنه قوله تعالى: ليؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه " [5] غير أنّها تستخدم في معنى التعنيف والتأديب، تهكّما واستهزاء بالمذنب ". [6]

وبناء على كلّ ما تقدّم يتبين أنّ التحوّلات السّياسية والاجتماعية تؤثّر في تغيّر مدلولات كثير من الألفاظ عبر الزمن.

---

[1] أحمد عبد الرحمن حماد، العلاقة بين اللغة والفكر دراسة للعلاقة اللزّومية بين اللغة والفكر، دار المعرفة الجامعية،د ط، د ت، ص 112

[2] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 139.

[3] المرجع نفسه،ص 140.

[4] فندريس، اللغة، ص 266.

[5] سورة الفتح:الآية (9).

[6] ينظر رمضان عبد التّواب: فصول في فقه العربية ص 304 – 305.

2 ـ إنّ الألفاظ التّي تتّصل بالناحية النّفسية والعاطفية هي أوضح الأسباب في ابتذال بعض الألفاظ أي أنها أكثر عرضة من غيرها إلى الابتذال:" وذلك كأن يكون اللّفظ قبيح الدلالة أو يتّصل بالقذارة والدنس، أو يرتبط بالغريزة الجنسية.[1]

وذكر إبراهيم أنيس أمثلة متعددة للتدليل على هذه الناحية، لأنّ التطوّر والتغيّر دائم في دلالاتها، ومن هذه الألفاظ ما يتعلق بالزنا أو هتك العرض، وقد كنّى القرآن الكريم مصدر التشريع الأول عن العملية الجنسية بألفاظ كريمة -أخفّ وطأة من الألفاظ المكاشفة -كالحرث، والدخول والملامسة والسرّ والإفضاء ومنه قوله تعالى " نساؤكم حرث لكم " [2]" فمن نسائكم اللاتي دخلتم بهن" [3]
"أو لامستم النساء " [4] "فالآن باشروهن في المضاجع " [5] "وقد أفضى بعضك إلى بعض" [6]

ويرى أنيس أنّ من الألفاظ الدائمة التطوّر والتغيّر في دلالتها تلك التي تتعلق بالتبوّل والتبرّز فلا يكاد اللّفظ منها يشيع حتى يمجّه الذّوق الاجتماعي، وتأباه العامة فيستبدل به لفظ آخر من اللّغة نفسها أو من لغة أجنبية نحو "الكنيف،والكرسي،والمستراح، وبيت الراحة والمرحاض."

ومن هذه الألفاظ المبتذلة كذلك ألفاظ الشتائم والسّباب، وهي ألفاظ يشاء لها القدر أن تكتنف بظروف اجتماعية جعلت منها ألفاظ قبيحة،بغيضة إلى السّمع واللّسان.[7]

---

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 140.
[2] سورة البقرة، الآية(223).
[3] سورة النساء، الآية(23).
[4] سورة المائدة، الآية (6).
[5] سورة البقرة، الآية(187).
[6] سورة النساء، الآية (21).
[7] إبراهيم أنيس،المرجع نفسه، ص 140 – 162.

وقد أشار جوزف فتدريس(j.fendris)إلى كلّ هذه الحالات أثناء حديثه عن كيف تغير الأفكار أسماءها، وقد ساق على ذلك أمثلة متعددة توضح رؤيته[1]قائلا : " فالأسباب الاجتماعية واضحة جدا فيتغير الكلمات مراعاة سياقه إذ ليس من اللائق أن يتكلم في أحد المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة أو بأنّها ما يجرح الحياء، وتستبعد الألفاظ التي تعبر عنها من بين المفردات التي يستعملها الأشخاص المهذبون " [2]

ولذا تحرّم بعض اللغات استعمال بعض الكلمات التي لها إيحاءات مكروهة أو دلالات صريحة على ما يستقبح ذكره.[3]

وهذا ما يعرف عند ستيفن أولمان (s.Ullmann) " باللاّمساس " وقد كان يطلق على كل ماهو مقدس أو ملعون ، ويحرم لمسه أو الاقتراب منه ، لأسباب خفيّة ، فإذا اصطدمت كلمه بحظر ما يحظر الاستعمال ، تحت تأثير عامل اللاّمساس ، حلّت محلها كلمة أخرى خالية من الضرر والأذى " [4] [4] وهذا يؤدي إلى انزواء كلمات وظهور أخرى محلها ، وهذا المصطلح البديل يكون له معنى قديم ، ما يؤدي إلى تغير دلالة اللّفظ ، وذلك لأن فكرة اللاّمساس قائمة على التحايل في التّعبير أو ما يسمى بالتلطّف ، وهذا التلطّف هو السبب المفضي إلى تغيّر المعنى.[5]

ويقول أنيس في هذا الصدد قد يترتب على ذلك أن بعض كلمات اللّغة تكتسي دلالات جديدة، أو تنتقل إلى مجال غير الذي عرفت به وشاعت فيه، وتتمّ تلك العملية التطوّرية في الدّلالات بصورة تدريجية تستغرق زمنا طويلا، وليس المسؤول عنها فرد بعينه، بل إنّها تعزى إلى المجتمع في البيئة اللّغوية الواحدة

[1] ينظر فندريس، اللغة، ص 279 -283.

[2] المرجع نفسه، ص 280.

[3] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 239.

[4] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،ط12، 1997، ص 193.

[5] أحمد مختار عمر،المرجع نفسه، ص 240 .

3 ومن أوضح الألفاظ التي يتضح فيها تطور الدلالة، ألفاظ تتعلق من قريب أو بعيد (بالموت والأمراض) أو (بالأشباح والعالم الروحي)، فنراهم يكنّون عن الموت والمرض بألفاظ أخرى أقلّ أثرا في النفوس، نحو قولهم عن الموت، " الذهاب، أو انتهى، أو فاضت روحه." [1]

ومن اللّغويين الغربيين من أشار إلى هذه الظاهرة، وهو بيار غيرو(p.geraud)، وذلك في حديثه عن أسباب تبدّلات المعنى، إذ يقول:"و المبخسة التي يطلقها الرأي العام ازاؤها، ولهذا يبحثون له عن بدائل،" المرض الخبيث " " اللاّمسمى "... فالميت هو المرحوم."[2]

وللقدماء العرب جهود طيّبة في هذا المضمار، فقد وضع الثعالبي كتابا صغير الحجم في الكناية والتعريض " مصدرا كتابه بـ" الكنايات عما يستهجن ذكره، ويستقبح نشره، أو يستحيا من تسميته أو يتطير منه، أو يستدفع ويصان عنه، بألفاظ مقبولة تؤدي المعنى ... فيحصل المراد، ويلوح النجاح مع العدول عما ينبوا عنه السّمع، ولا يأنس بها الطبع، إلى ما يقوم مقامه، وينوب منابه من كلام تأذن له الأذن، ولايحجبه القلب ". [3]

وكذلك حديثه عن إطلاق الطّهر على الختان،[4]وحديثه عن الألفاظ التي نستبين منها الضّعف الإنساني ويتطيّر من ذكرها كاللّديغ والمهلكة والموت الأعمى.[5]

وقد أفرد الثعالبي فصلا بعنوان " في الكناية عمّا يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه" [6] في كتابه " فقه اللغة وسرّ العربية " فيقول فيه:"وهي من سنن العرب، وفي القرآن:" وقالوا لجلودهم" [7] أي فروجهم

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 142 – 145.

[2] بيار غيرو، علم الدلالة،ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات بيروت، ط1، 1986، ص 81 -82.

[3] الثعالبي، الكناية والتعريض، تحقيق مُحَمَّد بدر الدين النعساني، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، 1991 ص1، ص 4.

[4] ينظر المصدر نفسه، ص 4، ص 18.

[5] ينظر المصدر نفسه، ص 53.

[6] ينظر الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، المكتبة التجارية الكبرى، ص 433 –434.

[7] سورة فصلت الآية (21).

وقال تعالى:" أو جاء أحد منكم من الغائط " [1]فكنى عنق الحدث، وقال عزّ اسمه:
" فأتوا حرثكم أنى شئتم ". [2]

ثانيا: الحاجة.

ويعرف هذا عند أحمد مختار عمر بالابتداع أو الخلق وهو من الأسباب الواعية والمتعمّدة لتغيّر المعنى، ويقوم به الموهوبون من أصحاب المهارة في الكلام والمجامع اللغوية والهيئات العلمية حين تحتاج إلى استخدام لفظ ما للتّعبير عن فكرة أو مفهوم معين، وبهذا تعطى الكلمة معنى جديد يبدو أوّل الأمر اصطلاحي .[3]

وهو العامل الثاني للتطوّر الدّلالي الذي يلحق بعض الألفاظ كما يراه إبراهيم أنيس وهو وليد الحاجة في التجديد والتعبير، وهو الذي يقصد إليه قصدا، ويتّم على نحو متعمد في ألفاظ اللّغة، ويكون على أيدي الموهوبين من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء والكتّاب، كما تقوم به المجامع اللّغوية أو الهيئات العلمية حين تكون بحاجة إليه والسبيل إلى هذا التطوّر هو المجاز أو الانتقال باللّفظ من مجاله المألوف إلى آخر جديد عليه.[4]

ولذا عدّ عبد الكريم مجاهد[5] الاصطلاح العلمي " من الأسباب التي تؤدي إلى التطوّر الدلالي الذي يلحق بعض الألفاظ لمسايرة متطلبات العصر واختراعاته ومكتشفاته التّي تحتاج اصطلاحات تدّل عليها.

وقد تنبّه العلماء القدماء إلى هذا العامل، بأن أشاروا إلى أثره في تغيّر الدلالة، وهذا ما كان من ابن جنّي حيث ذكره في " باب في هذه اللغة: أفي وقت واحد وسعت، أم تلاحق تابع منها بقارظ؟"إذ

[1] سورة النساء الآية (43).
[2] سورة البقرة الآية (223).
[3] أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص 242.
[4] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 145.
[5] عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص 279.

يقول: " فإنها لابد أن يكون وقع أوّل الأمر بعضها، ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه لحضور الداعي إليه، فزيد فيها شيئا فشيئا، إلاّ على قياس ما كان سبق فيها " [1]

ويكشف ابن فارس في كتابه " الصّاحبي " عن الأسباب الإسلامية في تغيّر دلالة الألفاظ القديمة وتطوّرها إذ كانت سببا في خلع دلالات جديدة على تلك الألفاظ القديمة التي لم تكن تعرف بما عرفت به بعد مجيء الإسلام ، وفي هذا يقول : " كانت العرب في جاهليتها على إرث آبائهم ، في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم ، فلما جاء الله – جل ثناؤه – بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أقرّ بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت : وشرائط شرطت ، فعفي الآخر الأوّل ، فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأ واهم عليه كان لم يكن ."[2]

ويقول ستيفن أولمان في هذا الباب: ومن أسباب تغيّر المعنى ما هو معروف ومألوف لنا من قبل، وهو الحاجة إلى كلمة جديدة، أو كلمة أقدر من غيرها على التعبير عن المقصود، ويضرب لذلك مثلا إذا احتجنا إلى كلمة مناسبة لإطلاقها على "تسجيل " بمعنى الأسطوانة المعروفة في عالم الغناء والموسيقى فأقرب طريقة إلى ذلك ويأتي سدّ هذا الاحتياج عن طريق تغيّر لمعنى الألفاظ العربية القديمة، كما أطلقت كلمة التسجيل وهو مصدر في الأصل على الجهاز الذي يستخدم في تسجيل الأصوات على أشرطة متخصصة لذلك.

أما الوسيلة الثانية: هو أن الحاجة أو الضرورة تدعوا إلى الالتجاء إلى ألفاظ اللّغات الأجنبية، فيستعار منها ما تمسّ الحاجة إليه حينا وما لا تمسّ حينا آخر، وقد تكون الاستعارة تعبير عن أشياء تختص بها بيئة معيّنة لا وجود لها في بيئة غيرها، وقد تكون الاستعارة للإعجاب باللّفظ الأجنبي، ورأى أنيس أنّ الاستعارة تقتصر على الألفاظ والكلمات، ولا تكاد تتعدّاها إلى العناصر اللّغوية الأخرى، كالتّصريف

[1] ابن جنّي، الخصائص،ج2، ص28.

[2] ابن فارس،الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدوان للطباعة والنشر، بيروت، ص78

والاشتقاق وتركيب الجمل.[1]

ثم فصل الاستعارة التي منها ما يلزم وما لا يلزم قائلا:" أما الاستعارة التي تدعو الحاجة إليه فقد عرفها القدماء كما عرفها المحدثون. فقد استعار العرب من الفرس واليونان للتّعبير عن أشياء ليست في بلاد العرب، وعمد العرب القدماء إلى بعض تلك الألفاظ فحوروا من بنيتها، وجعلوها على نسج الكلمات العربية وسمّوها بالمعرّبة، وتركوا البعض الآخر على صورته وسمّوه ألفاظنا العربية التي استعارتها اللّغات الأجنبية وصبغتها بصبغتها ككلمة شراب (Sirup) قهوة (Coffee) ... وهناك نوع آخر من استعار الألفاظ يتم في ظروف أخرى تكشف عن إعجاب أمة بأمة، وتأثرها بثقافتها أو خضوعها لنفوذها السياسي.[2]

وقد تابعه في هذه النقطة مُحَمَّد مصطفى رضوان،[3] وأحمد عبد الرحمن حمّاد.[4] وأكّد أنيس أن الاستعارة التي لا تدعو الحاجة إليها هي التي تترك أثرا ظاهرا في تطوّر الدلالة، أمّا التي تدعوا الحاجة إليها أو الضرورة، فزعم أنه لا يلمح لها أثرا في تطور الدلالة أو تغيرها، بل هي مجرد تنمية لألفاظ اللّغة وإضافة جديدة فيها.[5] ويؤيّد مُحَمَّد مصطفى رضوان هذه النقطة ويدعمها بشدّة إذ يقول:" هذا الأخذ والعطاء بين هذه اللّغات قد أدّت إليه الحاجة الملحّة دون أي أثر ثقافي، أو نفوذ سياسي أو تقدير حضاري أو رقي اجتماعي، حدث من لغة لأخرى، وإن اختلفت الأمم وتباينت درجاتها ومميّزاتها غير أنه كان تنمية لألفاظ اللّغة وإضافة جديدة إليها ولا نكاد نرى له أثرا في تطور الدلالة "

[1] ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 148.

[2] المرجع نفسه، ص 149.

[3] مُحَمَّد مصطفى رضوان، نظرات في اللغة، ص 445.

[4] أحمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللغوي، ص 119

[5] إبراهيم أنيس،المرجع نفسه، ص 105.

وهذا ما أكّده من قبل ستيفن أولمان فيدور الكلمة في اللّغة " إذ يشير إلى أن هذا النوع من الاقتراض الذي لا يرتبط بأي حاجة عملية، فإنه لا يعمل على سدّ النقص في الثروة اللّفظية وإنّما يضيف أمثلة جديدة من المترادفات.

وفيما يبدو أن الاستعارة التي تدعوا الحاجة إليها، فيها ما يوحي: بالتطوّر الدلالي على نحو واضح فالسيارة في بدء نزول الوحي لا تعني أكثر من القافلة من الإبل، أما في الوقت الحالي فتطلق على السيارة الحديثة التي تسير على العجلات، وكذلك كلمة " القاطرة " التي ترد في المعاجم العربية على أنّها الناقة التي تتقدم القافلة، وهي الآن إحدى عربات القطار، هذا يعدّ من التطوّر الدلالي؟ هذه الأمثلة هي من الاستعارة التي تمس الحاجة إليها.

وانتهى أنيس إلى أن هناك من الألفاظ قابلة للاستعارة، وأخرى غير قابلة للاستعارة وأطلق عليها اسم " الألفاظ العصيّة على الاستعارة، وهي التي تعدّ من العناصر القديمة الأصيلة المميزة للّغة، نحو ألفاظ الأعداد والضمائر وألفاظ الإشارة والموصول.[1]

وقد تفطّن القدماء العرب إلى ظاهرة الاقتراض اللغوي، حيث يقرر الثعالبي مبدأ الأخذ عن لغة أخرى، فيذكر ألفاظا دخلت العربية من الفارسية والرومية وذلك في بيانه: " فصل في سياق أسماء تفرّدت بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي، فمنها الأواني كالكوز، الإبريق،الطست،الخوان،الطبق ... وفصل فيما حاضرت به ما نسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية: الفردوس البستان، القسطاس الميزان، السجنجل المرأة، البطاقة رقعة فيها رقم " والمتاع ...."[2]

ولم يكتف ابن جنّي بتقرير هذه الظاهرة فحسب ، بل يحدثنا عن مظاهر انتقال الألفاظ الأجنبية إلى العربية وكيفية هذا الانتقال ، وفي هذا يقول ابن جنّي في باب " أن ما قيس على كلام العرب فهو من

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 150 – 151.

[2] الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص 145 – 146.

كلام العرب " ، قال أبو علي : إذا قلت : طاب الخشكنان ، فهذا من كلام العرب لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته كلام العرب ، ويؤّكد هذا عندك أن ما عرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلّها ، ألا تراهم يصرفون في العلم آجر ، و ابريسم و پرنده وفيروزج ، وجميع ما تدخله لام التعريف ، وذلك أنه لما دخلته اللام في الديباج ، و الفرند السهريز ، والأجر ؛ أشبه أصول كلام العرب أنها النكرات ... "

مظاهر التطوّر الدّلالي:

حاول علماء الفلسفة والبلاغة منذ أرسطو أن يخضعوا تغيّرات المعنى الشيء من التنظيم والتقعيد، غير أنّهم حصروا جهودهم في تصنيف المجازات، أو ما يعرف بأنماط انتقال المعنى لأسباب جمالية أو أسلوبية ولما أصبح علم الدلالة فرعا مستقلا من فروع الدراسات اللّغوية،اتجه العلماء نحو تحليل أنواع التغيّر أو التراخي بين اللّفظ ودلالته، وقد تبيّن أنّ لتغيرات المعنى أشكالا معيّنة لها صفة الاطّراد والثبوت[1].

والنهج الذي سار عليه هؤلاء العلماء في تقصّي هذه المظاهر هو اختيار عدد ضخم من التغيّرات التي تطرأ على المعنى[2]. فوجوه الدلالة قد تعمّم أو تخصّص أو تنقل من مجال لآخر. وهذا التغيّر الدلالي للمفردات يعدّ من الحقائق المقررة لدى علماء اللّغة المحدثين، وتتعدد المصطلحات الدالة على طرق التغيّر الدلالي بينهم، فمنهم من يطلق عليه مصطلح أشكال التغيّر الدلالي [3]وبعضهم يطلق عليه مظاهر التغيّر الدلالي،[4] وبعضهم يسميه قوانين التطوّر الدلالي،[5] وقد يراد به أنواع التغيّر الدلالي.[6]

ويرى بعض العلماء أنّ مظاهر تغيّر الدّلالة تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: التعميم والتّخصيص والانتقال، في حين تشعّبت عند بعضهم ووصلت إلى تسعة أقسام:

[1] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 179.

[2] المرجع نفسه، ص 179.

[3] فريد عوض حيدر، علم الدّلالة دراسة نظرية وتطبيقية، دار مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ط، 1999، ص 70.

[4] عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 1966 ص 48.

[5] مُحَمَّد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ص 218.

[6] محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د ت، ص 280.

1- تضييق أو تخصيص المعنى.

2- توسيع أو تعميم المعنى.

3- نقل دلالة اللّفظة إلى شيء يقارب دلالتها الأصلية مكانة أو زمانا.

4- تغيّر مجال الاستعمال عن طريق المجاز.

5- نقل المعنى من الكل إلى الجزء أو العكس.

6- نقل المعنى من الأقوى إلى الأضعف.

7- نقل المعنى من الأضعف إلى الأقوى.

8- انحطاط الدلالة.

9- رقي الدلالة.

ومن مظاهر التغيّر أو التطوّر الدلالي المبالغة،[1] والانتقال من المحسوس إلى المجرّد الذي يصنفه غيرهم في مجالات الدلالة [2]من مظاهره أيضا التحوّل نحو المعاني المضادة[3]. وإن صحّ أن نشبه ظاهرة التطوّر في الألفاظ بالعلّة التي قد تعتري الكائن الحيّ فما هي مظاهرها، فتلك المظاهر يمكن تلخيصها على النحو التالي:

1 ـ تخصيص المعنى[4]Narrowing :

ويقصد بتخصيص الدلالة هو أن يكون المعنى الأول شامل أفرادا كثيرين، فيضيق مجالها ويتخصص،[5] فعقد ابن فارس في كتابه " الصّاحبي " بابا سماه باب الخصائص ذكر فيه "أن للعرب كلاما بألفاظ تختص به معان لا يجوز نقلها إلى غيرها، يكون في الخير والشر والحسن وغيره، وفي الليل والنهار وغير

[1] ينظر، أحمد مختار عمر،دلالات، ص 249 – 250.

[2] ينظر فايز الدّاية،علم الدلالة العربي، دمشق، دار الفكر العربي، ط2، 1996، ص 288.

[3] محمود السّعران، علم اللغة، ص 285

[4] أسماه ستيفن أولمان تضييق المعنى، دور الكلمة في اللغة، ص 180،وسمّاه محمود السّعران: التغير نحو التخصيص أو تخصيص المعنى، علم اللّغة، ص 283،وسمّاه أحمد مختار تضييق المعنى، علم الدلالة، ص 281.

[5] ينظر عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة، ص 48.

ذلك، فالتتابع التهافت ولم تسمعه إلاّ في الشر التأويب سير النهار لا تعريج فيه،والإستاد سير الليل لا تعريس فيه." [1]

وقد خصص الثعالبي فصلا في كتابه " فقه اللغة"بعنوان الاختصاص بعد العموم، ذكر فيه أن: العرب تفعل، فذكر الشيء على العموم، ثم تخصص منه الأفضل "فالأفضل،مثل قوله تعالى:

" حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى "[2] وقال أيضا: " فيها فاكهة ونخل ورمان. "[3]

وإنّما أفرد الله الصلاة الوسطى من الصلاة، وهي داخلة في جملتها وأفرد التمر والرمان من جملة الفاكهة وهما منها، للاختصاص والتفضيل "[4].

وإذا كان كل من ابن فارس والثعالبي يتكلمون من الألفاظ والتعابير التي تعبر عن الجزيئات التي هي إحدى مكونات الكليات، فإن السيوطي كان أوضحهم أسلوبا، وأحسنهم تعبيرا عن ظاهرة تخصيص الدلالة التي عقد لها فصلا فيما وضع عامة ثم خص في الاستعمال بعض أفراده.

ومن أمثلته أن الحج أصله قصد الشيء وتجريدك له، ثم ماخصّ بقصد بيت الله الحرام.[5]

وكذلك لفظ (السبت) فإنه في اللّغة الدّهر، ثم خصّ في الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من أفراد الدهر.[6]

وقد تحدّث إبراهيم أنيس عن تخصيص الدلالة وأعطى أمثلة على ذلك ورأى أنّ الألفاظ تتذبذب دلالاتها بين العموم والخصوص قائلا:" والألفاظ في معظم اللغات البشرية تتذبذب دلالاتها بين أقصى

[1] ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة، ص 264،

[2] سورة البقرة، الآية (238).

[3] سورة الرحمن، الآية (58).

[4] ينظر الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية.

[5] ينظر جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة،ج1ص 427.

[6] المصدر نفسه،ج1 ص 427.

العموم كما في الكليات، وأقصى الخصوص كما في الأعلام، فهناك درجات في العموم وهناك درجات في الخصوص، وحالات وسطى." [1]

ومثّل على هذه الظاهرة بأمثلة متعددة منها:" كلمة شجرة التي تطلق على كل ما في الكون من ملايين الأشجار، فإذا تحددت الدلالة ضاق مجالها قبل أن اللفظ أصبح جزئيا،وقيل أنّ الدلالة قد تخصصت فقولنا شجرة البرتقال " يستبعد آلاف أو ملايين من أنواع الأشجار الأخرى، فهي كذلك أخص في دلالتها من كملة " شجرة " وقولنا و" شجرة البرتقال المصرية " أخص في الدلالة من "شجرة البرتقال."ولا تزال الدلالة تخصص حتى تصل إلى العلمية أو ما يشبهها، فقولنا" شجرة البرتقال في حديقتنا " يصل بالدلالة إلى أضيق الحدود، ويشير إلى هذا المظهر تخصيص الدلالة سليمان حسين في مقال له نشره في مجلة الفيصل فيقول فيه:" الانتقال من العام إلى الخاص، ويحوّل هذا القانون الدلالة العامة للّفظ إلى دلالة خاصة، بمعنى أنه يقوم بإزاحة كل الدلالات الجانبية وتخصيص اللّفظ لمعنى معين دون غيره بعد أن كان دالا على العموم " .

ويرى أحمد مختار عمر أن تخصيص الدلالة يتم نتيجة لإضافة بعض الملامح التمييزية للّفظ، فكلّما زادت الملامح لشيء ما قلّ عدد أفراده نحو كلمة " حرامي " هي في الحقيقة نسبة إلى الحرام ثمّ تخصصت دلالتها واستعملت بمعنى اللّص في القرن السابع الهجري في بعض النصوص المروية.[2]

ويمثل أنيس على هذا الملمح من اللّغة الإنجليزية تضيق دلالة " Meat " التي كانت تعني مجرد طعام وقد حدث أن خصصت دلالتها، فأصبحت مقتصرة على اللّحد وكذلك كلمة ''hound ''التي تعني الآن في تلك اللغة نوعا خاصة من الكلاب، كانت فيما مضى تعبر عن أي كلب." [3]

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 153.

[2] ينظر أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص 246.

[3] ينظر إبراهيم أنيس، المرجع نفسه، ص 154.

وهذا المظهر من مظاهر التطوّر الدلالي كان موضع اهتمام العلماء الغربيين، فهذا اللغوي الفرنسي (جوزف. فندريس) يفسّر هذا المظهر بقوله : " من حالات التضييق تلك الحالة التي يطلق فيها الاسم العام على طائفة خاصة تمثّل نوعها خير تمثيل في نظر المتكلم ، ذلك أن الإنسان إذا وثق من أنّ محدثه قادر على فهمه أعفى نفسه من استعمال اللّفظ الدقيق المحدد واكتفى بالتقريب العام فعندما يطلب من الفتاة الفلاحة أن تدخل " البهائم " لم تتردد لحظة واحدة في كون المقصود بها البقر الذي لا يزال في الحقل ، لأن البقر في نظرها البهائم بمعنى الكلمة وبالطبع لو تكلم الراعي أو الحوذي عن البهائم كان المقصود بها في الحالة الأولى الأغنام ، وفي الثانية الخيل ، وهذا التخصيص كثير ما يترك آثاره في اللغة"[1]

وقد عرض له أولمان بأن أعطى مثالا يفسّر هذا الملمح قائلا:"ومن المعروف أن الكلمة الإنجليزية (Potion) ومعناها (السمّ) ويقابلها(Potion) "الجرعة من أي سائل ولكن الذي حدث هو أن الجرعات السّامة دون غيرها هي التي استرعت الانتباه واستأثرت به، لسبب أو لآخر، وبهذا تحدّد المدلول، وأصبح مقصورا على أشياء تقلّ في عددها عمّا كانت تدّل عليه "[2].

ومن المحدثين العرب من تعرض إلى هذه الظاهرة، محمود السعران ومُحَمَّد المبارك الذي يشير إلى أنه بقصر اللّفظ العام على بعض أفراده، وتضييق شموله يحدث ما يسمى بتخصيص اللّفظ ومثّل على ذلك بكلمة " الصّحابة "، التي كانت تعني الصحبة مطلقا ثم حدث أن خصّصت بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

أمّا تمام حسان فهو يكاد يقصر هذا الملمح على الألفاظ الإسلامية قائلا:" وكلنا يعلم كيف يتحوّل المعنى تحولا مقصودا أحيانا ويتطور تطورا عادي أحيانا أخرى لمعلم المصطلحات الفقهية الإسلامية في العبادات وغيرها كالصلاة والزكاة والصيام والحجّ والهدي والسعي ونحوها محول عن معان لغوية عامة إلى معان اصطلاحية خاصة عن طريق القصد والتعمد ... "[3].

[1] فندريس،اللغة، ص 257.

[2] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 180.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 322

وقد عرض له رمضان عبد التّواب في حديثه عن التطور اللغوي حيث يرى أنّ أهمّ مظاهر التطوّر الدلالي ثلاثة منها تخصيص الدلالة والتي تحدث نتيجة تضييق أو عند الخروج عن معنى عام إلى معنى خاص وساق لذلك أمثلة منها، كلمة (الطهارة) لمعنى (الختان)في أذهان الناس وكلمة (الحريم) التي كانت تطلق على كل محرم لا يمسّ، وهي الآن تطلق على النساء خاصة.[1]

أما أحمد عبد الرّحمن حمّاد فيقول بهذا الصدد:" أنّ مدلول الكلمة يتغير تبعا للحالة التي يكثر فيها استخدامها، فكثرة استخدام العام مثلا في بعض ما يدلّ عليه يزول مع تقادم العهد معناه، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، ولدينا في اللّغة العربية وحدها الآلاف من أمثلة هذا النوع، فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة تتعلق بالشعائر والعقائد ... "[2]

ويمثّل عبد العزيز مطر على هذا المظهر (تخصيص الدلالة) من لهجاتنا المعاصرة نحو أصيل معنى "العيش"الحياة، ثم أطلق على ما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل، ثم تخصّص معنى العيش فأصبح يطلق في بعض اللهّجات على الخبز، كما في مصر، ويطلق في بعضها على الأرز، كما في منطقة الخليج العربي.

1-**تعميم المعنى** :**widening**

2-وهو مظهر دلالي يقوم على " توسيع معنى اللّفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدّال عليه إلى معنى أعمّ وأكمل.

ويعرّفه بعضهم بأنّه:" استعمال الكلمة الدالة على فرد، أو على نوع خاص من أفراد الجنس أو أنواعه على أفراد كثيرين أو على الجنس كله."[3]

---

[1] ينظر رمضان عبد التّواب، التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص 114 – 115.

[2] أحمد عبد الرحمان حمّاد، عوامل التطور اللغوي، ص 135.

[3] ينظر عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة، ص 49 –50.

وعليه ففي اللّغة ألفاظ أطلقت في الأصل على معان خاصة، أي مساحة دلالة اللفظ ضيقة، فتوسّعت دائرة دلالاتها، وتعارف عليها الناس، وانتشر استعمالها الجديد بقدر ما تناسوا الاستعمال الأول وابتعدوا عنه.

ومن اللغويين العرب القدماء من عرّض لهذه الظاهرة" تعميم الدلالة " فذكره في مباحثه مشيرا إليه، نحو ابن فارس والسيوطي.

أما ابن فارس فقد خصّص لذلك بابا يتحدث فيه عن أصول أسماء قيس وألحق بها غيرها " فقد ذكر نقلا عن الأصمعي ‘‘أصل الورد إتيان الماء، ثم صار إتيان كلّ شيء وردا والقرب: طلب الماء، ثم صار يقال ذلك لكل طلب،فيقال: هو يقرب كذا أي يطلبه، ولا تقرب كذا،ويقولون: رفع عقيدته، أي صوته وأصل ذلك أن رجلا " عقرت رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته، فقيل بعد ذلك لكل من رفع صوته: رفع عقيرته، ويقولون بينهما مسافة، وأصله من السوق وهو الشم. ومثل هذا كثير ... "[1].

وأما السيوطي فيقول في فصل " فيما وضع في الأصل خاصا ثم استعمل عاما " بعد استعراضه لرأي ابن فارس بهذا الصدد بذكر أمثلة متعددة، توضح هذا الملمح، نحو النجعة أصلها طلب الغيث،ثم كثر فصار كلّ طلب انتجاعا،والمنيحه: أصلها أن يعطي الرجل الناقة،فيشرب لبنها أو الشاة، ثم صارت كل عطية منيحه،والراوية: البعيد الذي يستقي عليه، ثم صارت المزادة راوية ... [2]

وقد أفاض العلماء العرب القدماء في هذا النوع من التطوّر الدلالي فقد ذكره ابن دريد في " الجمهرة "والزبيدي في" لحن العامة " وابن مكّي في " تثقيف اللّسان "وقد ذكر الجوهري في معجمه "الصحاح "بعض أمثلة على هذا النوع منها قال في الحميم: " الحميم الماء الحار والحميمة مثله، وقد استحممت إذا اغتسلت به، هذا هو الأصل، ثمّ صار كل اغتسال استحماما بأي ماء كان.[3]

[1] ابن فارس، الصّاحبي، ص 95 – 96.

[2] السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، ج1، 429 – 430.

[3] الجوهري، الصحاح، حقّقه وطبعه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1998، ج1، مادة (حمم).

ومنه في لسان العرب لابن منظور نذكر:" أنّ الرمّة بالضم قطعة حبل يشدّ بها الأسير أو القاتل الذي يقاد إلى القصاص أي يسلم إليها بالحبل الذي يشدّ به تمكينا لهم منه لئلا يهرب، ثمّ اتسعوا فيه حتى قالوا آخذت الشيء برمّته أي كلّه "[1].

وتعميم الدلالة يعدّ المظهر الثاني من مظاهر التطوّر الدلالي عند إبراهيم قائلا عنه: " فكما يصيب التخصيص الدلالي بعض الألفاظ قد يصيب التعميم البعض الآخر، غير أن تعميم الدلالات أقل شيوعا من تخصيصها، وأقل أثرا في تطور الدلالات وتغيرها " [2]

بينما يرى أحمد مختار عمر أن هذا الشكل على قدم المساواة في الأهمية مع تضييق المعنى.[3]

وقد وجد هذا الرأي تأييدا من قبل معاصريه، فها هو فريد عوض حيدر يرى ذلك ويدعمه بقوة قائلا:"وأرى ما يرى د. أحمد مختار عمر، إذا استثنينا المصطلحات، لأن معظمها يقوم على التخصيص الدلالي وقلما نجد من بينها مصطلحا أتى بتوسيع الدلالة".[4]

ويرى أنيس أن هذا المظهر تعميم الدلالة يمكن تفسيره بأنّ الناس " يكتفون بأقلّ قدر ممكن من دقّة الدّلالات،وتحديدها، ويقنعون في فهم الدّلالات بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم من الكلام والتخاطب، ولا يكادون يحرصون على الدّلالة الدقيقة المحدّدة التي تشبه المصطلح العلمي، وهم لذلك ينتقلون بالدّلالة الخاصة إلى الدلالة العامة إيثارا للتيسير على أنفسهم، في خطابهم ". [5]

ويفسّره أحمد مختار عمر في ضوء نظرية التحليل التكويني للمعنى التي تعنى بحصر المكوّنات الدلالية والملامح التمييزية للّفظ، على أنه نتيجة لإسقاط بعض الملامح التمييزية للّفظ، أو المكّونات،فالطفل

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1956، مادة (رمم).

[2] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 154.

[3] ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 243.

[4] فريد عوض حيدر، علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، ص 76.

[5] إبراهيم أنيس،المرجع نفسه، ص 155.

الذي يستخدم كلمة " عم " مع كلّ رجل قد أطرح من دلالته القرابة أي " أسقط الملامح التمييزية للّفظ القرابة " واكتفى بملمحي الذكورة والبلوغ.[1]

ويعلّق أحمد قدور على رؤية أنيس القائلة بأنّ تعميم الدّلالة أقل شيوعا من تخصيصها فيقول " ولسنا ندري علام استند أنيس في إطلاقه هذا الحكم الذي نرى خلافه، ولاسيما في المستوى الذي تحدّث عنه وهو مستوى النّاس في حياتهم العادية فالحرص على الدّقة و إيقاع الألفاظ في مواقعها المحددة ومراعاة الفروق ، ليست من الظواهر الشائعة لدى الناس في ذلك المستوى الموصوف ، ويمكن للدّارس أن يأخذ مبدأ الاقتصاد في بذل الجهد وهذا الاقتصاد مسؤول عن كثير من الظّواهر اللّغوية ، لأن أهل اللّغة عامة يميلون إلى التيسير على أنفسهم ، ويؤثرون السهولة التي تتمثل في القدر التقريبي الذي يكفي لفهم الكلام .[2]

أما عبد الكريم مجاهد[3]فيذهب إلى ما ذهب إليه أنيس وهو بذلك يؤيد رؤيته مصرحا بأنّ التعميم أقلّ شيوعا من التخصيص ولا تختص به العربية وحدها بل تشاركها فيه اللّغات الأخرى.

وقد ساق إبراهيم أنيس أمثلة متعددة توضح هذا المظهر" تعميم الدلالة " فكلمة "البأس" في أصل معناها كانت خاصة بالحرب، ثم أصبحت تطلق على كلّ شدّة، وأن الناس في خطابهم الآن يطلقون كلمة " الورد " على كل زهرة وكلمة " البحر " على النهر والبحر، ومن هذا التعميم أيضا تحويل الأعلام إلى صفات، فالعلم " قيصر " قد يطلق ويراد منه العظيم الطاغية " ونيرون " الظالم أو المجنون (حاتم)، الكريم المضياف و " عرقوب " للمخادع قليل الوفاء.[4]

[1] أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص 254.

[2] أحمد مُحَمَّد قدور، في الدلالة والتطّور الدلالي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع 32، 1989، ص 132.

[3] ينظر عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، ص 281.

[4] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ،ص 155.

ومن أمثلة وقوع هذا الملمح في الإنجليزية يذكر أنيس كلمة"Arrived " التي كانت تعني الوصول إلى شاطئ النهر، وأصبحت الآن لمجرد الوصول، وكلمة" Virtue "على صفة الرجولة.[1]

وإلى هذا الرأي يذهب محمود السّعران، إذ يقرّ أنّ تعميم المعنى ضد تخصيصه، فالكلمة التي كانت تدلّ على أفراد كثيرين تنحصر دلالتها على فرد واحد منها، فكذلك يطرأ على الكلمات التغيّر المضاد فتستعمل الكلمة التي كانت تدلّ على فرد مثلا للدلالة على أفراد كثيرين أو على" الطبقة " بأسرها، ويمثّل على ذلك بكلمة"Barn "الإنجليزية التي كانت فيما مضى تدلّ على "مخزن الشعير " ولكنها أصبحت تدل على مخزن أي نوع من أنواع الحبوب.[2]

ويمثّل فندريس لهذا المظهر بقول الطفل الباريسي عندما يرى نهرا"Jevois une seine "أي أرى سينا إذ أنّه وسّع معنى نهر السين بحيث يشمل كل نهر، وعلّق على قول الطفل:" وتلك غلطة طفل لا يدوم لها أثر ولكن هناك أخطاء مماثلة قد استمر بقاؤها ".

وقد أشار إلى هذا المظهر مُحَمَّد المبارك قائلا:" ويكون ذلك بتوسيع على اللاند مفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشمل كلفة (الورد والورود)، وأصله إتيان الماء ثم استعمل لإتيان كل شيء ... والرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث ومنه المثل " الرائد لا يكذب أهله" ثم عم الكل من يتقدم القوم لطلب شيء.[3]

ونجد ذلك عند رمضان عبد التّواب الذي يرى أن تعميم الدلالة ينحصر في إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله.[4]ويمثل له بلفظة " البلاط " التي تدل في الأصل على الحجارة المفروشة بالأرض ثم أصبحت تطلق على البيت المحصن البناء.[5]

---

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ،ص 155.

[2] ينظر محمود السّعران، علم اللغة، ص 284.

[3] مُحَمَّد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 218.

[4] رمضان عبد التّواب، التطّور اللّغوي علله وقوانينه ومظاهره، ص 117.

[5] ينظر المرجع نفسه، ص 117.

3-انحطاط الدّلالة:

بما أنّ اللّغة كالكائن الحيّ تنمو وتتطوّر ثمّ تموت، وتتأثر سلبا وإيجابا بالظواهرالاجتماعية ،

وبما أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعية فإنّها تخضع لما تخضع له جميع الظواهر الاجتماعية في المجتمع، فهي ترقى برقي المجتمع وتنحط بانحطاطه.[1]

ويقصد بهذا المظهر (انحطاط الدلالة) هو أن يكون للكلمة دلالة قوّية فتضعف، أو دلالة راقية فتنحد.[2]

وعرّض إبراهيم أنيس لهذا المظهر وأعطى أمثلة له قائلا : " وكثيرا ما يصيب الدّلالة بعض الانهيار أو الضّعف ، فنراها تفقد شيئا من أثرها في الأذهان ، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام والتقدير فهناك ألفاظ تبدأ حياتها تعبّر في قوة عن أمر شنيع أو فظيع ، حتى إذا طرقت الآذان فزع المرء لسماعها ، أحسّ أنها أقوى ما يعبّر عن تلك الحال ، ثمّ تمرّ الأيام وتشيع تلك الألفاظ ، ويكثر تداولها بين الناس ، وهم عادة مشغوفون في كلامهم بالإسراف والمغالاة ، فيستعملونها في مجال أضعف من مجالها الأول ... وهنا تنهار القوّة في الدّلالة الأولى ويصبح اللّفظ بعد شيوعه مألوفا لا تخيف دلالته ولا تفزع لها النفوس.

ويذكر أنيس من أمثلة وقوع هذا الملمح في اللّغة الإنجليزية ثلاث كلمات تستخدم للوصف بالشناعة أو الفظاعة وهي: horrible،Terrible، Dreadful، كانت إذا استعملت في القرن الثامن عشر أفزعت السامع، وجعلته يشعر بهول عظيم، ولم تكن تستعمل إلا في ظروف معينة كحادث زلزال مدمر مثلا، ثم أصبحت تستخدم للدّلالة على حوادث تافهة كسقوط فنجان من الشاي على السجادة، أو اصطدام دراجة بالحائط.[3]

[1] إبراهيم السامرائي، مباحث لغوية، مطبعة الآداب، النجف، د ط، 1971، ص 81.

[2] ينظر عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة، ص 49 – 50.

[3]. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص156.

ويمثّل على هذا المظهر من العربية، كلمة الكرسي التي كانت تدلّ على العرش حيث استعملت في القرآن الكريم بمعنى " العرش " في قوله تعالى:" وسع كرسيّه السماوات والأرض "[1] غير أن هذه الكلمة أصبحت الآن تطلق على: كرسي السفرة، وكرسي المطبخ.[2]

وأنّ " طول اليد " قد وردت في الحديث الشريف بمعنى السخاء والجود حين قالت للنبي نساؤه " أيّنا أسرع لحاقا بك يا رسول الله؟ فقال (ص) أطولكن يدا: والكلمة كما هو معروف تستعمل الآن على الألسنة وفي لهجات الخطاب بمعنى السرقة." [3]

وقد تحدّث محمود السّعران عن هذه الظاهرة من التطوّر الدلالي ورآها نوعا من التغيّر في المعنى يصدق على الكلمات التي كانت دلالاتها تعدّ في نظر الجماعة نبيلة قوية ثمّ تحوّلت دلالاتها إلى مرتبة وضيعة، ورأى أن" أكثر الكلمات التي تميل إلى مكانة اجتماعية معينة.[4]

وإلى هذا الرأي يذهب أولمان من قبل إذ يرى أنّ هذه الظاهرة تقع حين يصيب الدلالة بعض الضعف، فتفقد مكانتها أو أثرها في الأذهان، وقد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في سلم الاستعمال الاجتماعي، بل قد ترتفع الكلمة الواحدة إلى القمة، وتنخفض إلى القاع في وقت واحد[5].

وقد تفقد بعض الألفاظ شيئا من بهائها ورونقها في ذهن الناس لأسباب متعددة منها الدوران والشيوع لأسباب اجتماعية ونفسية وسياسة.

وقد أشار أنيس إلى ذلك كما أسلفنا في تناوله لهذا المظهر. ويعتقد باحثون أن العامل النفسي العاطفي أوضح هذه الأسباب تأثيرا قائلين:" أما على مستوى العامل النفسي العاطفي فهو أوضحها

[1] سورة البقرة، الآية255.

[2] ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 156 – 157.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 157.

[4] ينظر محمود السّعران: علم اللّغة، ص 280-281.

[5] ينظر ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 202.

تأثيرا،فكثيرا ما تتغيّر الألفاظ المرتبطة بالغريزة الجنسية أو المقابح والعورات أو القذارة، وتحلّ محلها ألفاظ عامة غامضة ".

4 ـ رقيّ الدّلالة:

وهو أن يكون للّفظ دلالة على معنى ما في أحد العصور، ثمّ تتطوّر هذه الدّلالة بحيث تشمل مدلولا أقوى أو أرقي من المدلول الأول، إمّا لأن المدلول نفسه ارتقى،وإمّا لأنّ اللّفظ قد انتقل إلى مدلول آخر أرقى "[1]

وتحدّث إبراهيم أنيس عن هذا المظهر وأورد له أمثلة متعددة قائلا:" فكما قد تنحطّ الدّلالة في الألفاظ قد تقوى في الألفاظ أخرى، غير أنّ ضعف الدلالة أو انحطاطها أكثر ذيوعا في اللّغات بوجه عام[2].

ومن ذلك في لغتنا العربية ما أتى على الكلمتين " ملاك ورسول" فقد كانت تدّلان على الشخص الذي يرسله المرء في مهمة مهما كان شأنها، ثم تطوّرتا وأصبح لهما تلك الدّلالة السامية التي تألفها الآن ومن ذلك أيضا كلمة " السفرة " التي تدلّ في الأصل على طعام المسافر،وهي الآن تجري على ألسنة تجار الأثاث، فأصبحت ذات شأن.[3]

ويبدو أنّ اللفظ بقي كما هو، ولكن المدلول قد ارتقى، فارتقت معه الدّلالة.

ويمثّل فندريس لهذا المظهر بلفظ:" Marshal" الانجليزية التي كانت تعني في وقت من الأوقات الغلام الذي يتعهد الخيل في الإسطبل، وتعني الآن رتبة عسكرية عالية[4].

وقد تعرّض محمود السعران إلى هذا المظهر من مظاهر التطور الدلالي ورآه نوعا من التغيّر في المعنى وأنّه يطلق على ما يصيب الكلمات التي كانت تشير إلى معان " هيّنة " أو " وضيعة " أو " ضعيفة "

[1] عبد العزيز مطر، علم اللّغة وفقه اللّغة، ص 56.

[2] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 158.

[3] المرجع نفسه، ص 158.

[4] ينظر فندريس،اللغة، ص 227.

نسبيا، ثم صارت تدلّ في نظر الجماعة الكلامية على معان "أرفع "" أو " أشرف " أو " أقوى ". [1]

ويمثّل على ذلك بكلمة " بيت " التي كانت تطلق على المسكن المصنوع من الشعر وأصبحت تستعمل الآن للدلالة على البيت الضخم الكبير المتعدد المساكن الذي تعهده في المدن، وإلى هذا المعنى ذهب مُحَمَّد مصطفى رضوان.

ومن الأمثلة الأخرى على رقي الدلالة، كلمة (القماش) التي كانت تدل على الرديء من كل شيء، أو على ما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء،[2] ثم تطوّرت وأصبح لها تلك الدلالة السّامية التي نألفها الآن حيث تدل على أنواع القماش المختلفة حتى تشمل الحرير ونحوه.

وإلى مثل ذلك يشير حسن عون بقوله " الألفاظ شأنها شأن الكائنات الحيّة قد ينقرض بعضها ويبقى البعض الآخر وقد تتغير شحنتها الدلالية من القوة إلى الضّعف، وبالعكس حسب ظروف استعمالها الخاص في الأزمنة المختلفة."[3]

5 ـ تغيّر مجال الاستعمال:

وهذا المظهر الخامس من مظاهر التطوّر الدلالي، وهو أن ينتقل اللّفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة أخرى لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الدّلالتين، أو أقرب بينهما،[4] وهو ما نلمسه لدى إبراهيم أنيس.

وينفرد الانتقال من مجال إلى آخر بجانب مهم في تطوّر الدلالة، نظرا لتنوعه واشتماله على أنواع المجازات القائمة على التخيّلات، إذ يقول أحمد مختار عمر: " إن نقل المعنى يعد أهمّ أشكال تغيّر المعنى **أولا** لتنوعه، **ثانيا** لاشتماله على أنواع المجازات القائمة على التخيلات." [5]

---

[1] محمود السّعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، ص 282-283.

[2] ينظر ابن منظور، لسان العرب ، مادة (قمش).

[3] حسن عون، دراسات في اللغة والنّحو، ص 19 -20.

[4] ينظر مُحَمَّد حسين آل ياسين، الأضداد في اللغة، ص 67.

[5] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 249.

ويحدد فندريس المراد " بنقل المعنى " قائلا: " يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان ، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص ،كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال ،ومن السبب إلى المسبب ، أو من العلاقة الدالة إلى الشيء المدلول عليه ... إلخ، أو العكس صحيح، وأنّ انتقال المعنى يتضمّن طرائق شتى ، وهي الاستعارة، أو إطلاق البعض على الكل، أو المجاز المرسل بوجه عام[1].

ويرى أنيس أن تغيّر مجال الاستعمال هو المجاز وأنّ هذا التغيّر من مجال إلى آخر، سواء كان بقصد أو بغير قصد له مبرراته و دوافعه.[2]

وهذه المبرّرات والدوافع لخّصها أنيس على النحو الآتي:

أ- توضيح الدلالة:

وهي كما يرى:" جعل الصورة الذهنية من الجلاء والصقل بحيث لا يترك مجالا للوهم أو الشكّ، ويكون هذا عادة حين تنتقل الدلالة المجرّدة إلى مجال الدّلالات المحسوسة الملموسة " [3]

ويشير أنيس إلى أنّ تلك الظاهرة أو العملية يلجأ إليها الأدباء والموهوبون من أهل الفنّ ، وأنّها أوضح ما تكون فيما يسمّى بالكنايات الأدبية ، كأن يكنّى من (الكرم) بكثرة الرماد،وعن (التذلل) بإراقة ماء الوجه، فهذا النوع يسمى المجاز البلاغي.[4]

ب – رقيّ الحياة العقلية.

يشير أنيس إلى أنّ الباحثين قد أجمعوا على أنّ نشأة الدلالة بدأت بالمحسوسات، ثمّ تطوّرت إلى الدّلالات المحددة بتطور العقل الإنساني ورقيه. وكلّما ارتقى التفكير العقلي جنح إلى استخراج الدّلالات

[1] فندريس،اللّغة، ص 256.

[2] ينظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 160.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 162.

[4] فندريس،المرجع نفسه، ص 256.

المجرّدة وتوليدها ، وهنا يلحظ أنّ الدّلالة تنتقل من مجال المحسوس إلى مجال الدلالات المجرّدة، وتسمّى هذه الظاهرة بالمجاز، ولكنّه ليس ذلك المجاز البلاغي الذي يعمد إليه أهل الفنّ والأدب.[1]

وإلى مثل ذلك ذهب مُحَمَّد المبارك ، إذ يرى أنّ الاتجاه الظاهر في تطوّر معاني الألفاظ يكون من المعاني المحسوسة إلى المعاني المجردة ،كالبحث والعقل والاقتباس والإدراك والوعي والشرف والروح والجدة والفضل ، وكلّها تدلّ في الأصل على معان حسّية ومدلولات ماديّة". [2]

ويقول حسن ظاظا بهذا الصدد ما يؤكد ما سبق: "كذلك راح الفكر الفلسفي عند البشر يزداد رقيا وبدأ الإنسان يتطلع إلى الغيبيات والمعقولات والمجردات، وكان عليه حينئذ أن يجعل لها أسماء تعبّر عنها، فتقل كثيرا من أسماء المحسوسات إلى دلالات معنوية "، ويضيف قائلا: وهنا يتبين أنّ أوّل نوع من الاتّساع اللّغوي ،كان يحتّمه تطوّر الفكر وهو التّعبير عن المجردات أو المعنويات ، بألفاظ منقولة من الحسّيات.[3]

و يرى أنيس " أنّ الانتقال من المجال المحسوس إلى المجال المجرّد يتم عادة في صورة تدريجية ، وتظلّ الدّلالتان سائدتين جنبا إلى جنب زمنا ما ، خلاله قد تستعمل الدّلالة المحسوسة فلا تثير دهشة أو غرابة وتستعمل في نفس الوقت الدّلالة المجردة ،فلا يدهش لها أحد وليس إحداهما حينئذ بأحق وأولى بالأصالة من الأخرى ، حتّى يمكن أن تعدّ إحدى الدلالتين ممّا يسمى بالحقيقة ، والأخرى مما يسمى بالمجاز ، إذ لا مجاز ولا حقيقة بينهما في مثل هذه الحال ، ثمّ قد تنزوي الدّلالة المحسوسة في ركن صغير من أركان الدلالة الأصلية ، ونعثر عليها حينئذ في بعض النصوص القديمة المتحجرة ، أو الأمثال في صورة نفس اللّفظ ، أو بعض مشتقاته ، وقد تندثر الدّلالة المحسوسة ، ويصعب حينئذ الاستدلال على أصلها ". [4]

---

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 161-162.

[2] مُحَمَّد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 221 – 222.

[3] حسن ظاظا، كلام العرب، من قضايا اللّغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1976، ص 46.

[4] إبراهيم أنيس،المرجع نفسه، ص 160.

وقد انتقد أنيس الاشتقاقيين حين ربطوا بين الدلالات لمجرّد الاشتراك في الحروف الأصلية، أو المادة الأصلية للاشتقاق.[1]

ويذكر أنيس أنّ نقل الدّلالات ليس مقصورا على نقل الدّلالة المجرّدة إلى مجال الدّلالة المحسوسة أو العكس بل قد يتم بين المحسوسات بعضها مع بعض ، لوجود صلة بين الدّلالتين في المكانية أو الزمانية أو للاشتراك في جزء كبير من الدّلالة، وقدّم لهذا بأمثلة كثيرة منها كلمة" الذقن " تستعمل في خطاب الناس بمعنى " اللحية " فهنا نقلت الدّلالة إلى أخرى للاشتراك في المكان.

أمّا للاشتراك في الزمان فساق مثلا " الشتاء " بمعنى المطر في خطاب المصريين وكلامهم، وكذلك كلمة " العشاء " فقد تأرجحت دلالتها بين ثلاثة أزمنة متصلة هي أول الظلام، أو من المغرب إلى العتمة، أو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر، وكلمة " النبيه " تستعمل بمعنى الذكي، رغم أن النباهة الشهرة وهنا اشتركت الدلالات في بعض المعنى.

ويرى المحدثون أن هذا المظهر " تغيّر مجال الاستعمال " يكون على نوعين هما:

1 – انتقال مجال الدلالة بسبب العلاقة المشابهة بين المدلولين، أي يسبب الاستعارة، وقد وضحه " أولمان "بقوله: " إنّنا حين نتحدث عن عين الإبرة نكون قد استعملنا اللّفظ الدّال على عين الإنسان استعمالا مجازيا. أما الذي سوّغ لنا ذلك فهو شدّة التشابه بين هذا العضو الثقب الذي ينفذ الخيط من خلاله وهذه الظاهرة تبدو في كثير من الكلمات التي انتقلت من معناها إلى معنى آخر يماثله ، ومن ذلك أسماء أجزاء الجسم التي تنتقل إلى ميادين أخرى تحت تأثير التشابه ، وتعتبر الميدان التقليدي لانتقال المعنى .

ومن أمثلة ذلك: عنق الزجاجة، وعين الإبرة، وسنّ الريشة، أسنان المشط، صدر المائدة، ورجل الكرسي، وكبد الحقيقة، وقلب المعركة، وأرس الشارع،وعين الحقيقة.[2]

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 164.

[2] ينظر أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 170.

وكذلك من النّبات، حيث يقال: فرع الأسرة، جذور المشكلة، وانتقال المعنى في أجزاء جسم الحيوان كثير الوقوع،[1] نحو ذيل الفستان، وذيل الصيحة، وجناح الطائرة.

وقد صنّف بيار غيرو أمثلة من هذا النّحو تحت مصطلح " التسمية الإدراكية " وممّا قاله تحت هذا النّوع: " إنّه شكل من أشكال التّسمية الإدراكية وهو تبدّل المعنى " وتشكل استعارة أحد الأشكال الثابتة التي تعتمدها هذه التسمية. ومن هذه الاستعارات الإدراكية: رأس جسد،قدم جبل، بطن واد، أسنان منشار، فم نهر ".[2]

ويمثل أولمان على ذلك بأمثلة منها: " تحية عطرة، استقبال بارد، لون دافئ، وصوت حلو، ويقول: فهنا يوجد الإحساس بأن هناك تشابها بين الدفء ولون معين من الألوان وتشابها بين المذاق الحلو والصفات الجميلة للصوت ".

أمّا النوع الثاني ، فهو انتقال مجال الدّلالة لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين ، وهو(المجاز المرسل) ويوضحه ستيفن أولمان قائلا : " الكلمة " Bureau" المكتب " قد يكون معناها اليوم المكتب الذي يجلس إليه الإنسان ويكتب عليه أو المصلحة الحكومية أو المكان الذي تدار منه الأعمال ، ومن الواضح أنه ليس هناك مشابهة بين المدلولين ، ولكن بينهما ارتباط من نوع آخر ، فالمكتب الذي تكتب عليه يوضع عادة في الأماكن التي تدار منها الأعمال ، وعلى هذا فالفكرتان بوضع مرتبطتان ببعضهما ، ببعض في ذهن المتكلم ، أو قل إنّهما ينتميان إلى مجال عقلي واحد هذا هو التّفسير النّفسي لذلك النوع من المجاز المعروف بالمجاز المرسل "[3] ، ويمثل إبراهيم أنيس لهذا فنذكر :

1 ـ **البيع**: أصله " مبادلة مال بمال، ثمّ أطلق على عقد البيع مجازا، لأنه سبب التمليك والتملّك ".

2 ـ **الثّغر**:المبسم، ثم أطلق على الثنايا المجاورة.

---

[1] ينظر فندريس، اللّغة، ص 259.

[2] بيار غيرو، علم الدّلالة ، ص 76 – 77.

[3] ينظر، أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص 170.

3 ـ مكتب الصحّة: فهو يدلّ بالأصل على المكتب الذي يكتب عليه ويوضع عادة في الأماكن التي تدار منها الأعمال ، فيتّضح أنّه ليست هناك مشابهة بين المدلولين ولكن بينهما نوع من الارتباط، أو أنّهما ينتميان إلى مجال دلالي واحد.[1] وهناك مظاهر أخرى للتطوّر الدّلالي وردت في كتب المحدثين، كالتحوّل نحو المعاني المضادة.[2] والمبالغة.[3]

[1] ينظر علي القاسمي علم اللّغة وصناعة المعجم، مطبوعات جامعة الرياض، الرياض، د ط، 1975، ص 126.

[2] ينظر محمود السعران علم اللغة،ص 285.

[3] ينظر أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 170 – 171

تُعدّ ظاهرة الترادف والمشترك اللّفظي والتّضاد من الظّواهر اللّغوية التي كثر حولها الكلام والنقاش بين العلماء واللّغويين والأدباء والباحثين قديما وحديثا، وقد عدّها الكثيرون منهم سمة من سمات العربية، وميزة من مميّزاتها ومظهرا من مظاهر العبقرية فيها.

والترادف من الظواهر التي ساهم في بحثها ودراستها الفلاسفة الإغريق وعلى رأسهم أرسطو فقد عالجها في كتابه (فن الشعر) و (فن الخطابة) وفلاسفة الهند لوجودها في اللّغة السنسكريتية؛ فقد عرف عن مؤلف بوذي اسمه (أماراسنها Amara sinha) أنّه ألّف معجما في المترادفات في ثلاثة أبواب ، وألحق بها فصلا في المشترك اللفظي ، ويعدّ هذا المعجم من أقدم المعجمات الكامل في تلك اللّغة ، إذ يعود ظهوره إلى القرن السادس الميلادي،وقبله وعلماء العرب القدماء والمحدثون وعلماء أصول الفقه وعلماء اللّغة الغربيون المحدثون.

ولعلّ أوّل من أطلق مصطلح الترادف هو: **أحمد بن فارس** في كتابه "الصّاحبي".

أوّلا: التّرادف.

1 ـ مفهوم التّرادف:

التّرادف في اللّغة كما قال ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة: "الرّاء والدّال والفاء أصل واحد مطّرد، يدلّ على اتّباع الشّيء، فالتّرادف التّتابع، والرّديف الّذي يرادفك" [1]

وقال ابن منظور: "الرّدف: ما تبع الشّيء، وكلّ شيء تبع شيئا فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو التّرادف...وترادف الشّيء: تبع بعضه بعضا، والتّرادف: التّتابع".[2]

أمّا التّرادف اصطلاحا فهو: "أن يكون للمعنى الواحد أكثر من لفظ يعبّر به عنه كالسّيف والحسام والصّيْقل" معنى هذا أن يكون للمسمّى الواحد أسماء كثيرة، أيّها أُطلِق دلّ على المسمّى.

[1] أحمد بن فارس بن زكريّا الرّازي ، معجم مقاييس اللّغة ، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدّين، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج 1 ، ط1 ،1999، ص،519.

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، تح: الشّيخ عبد الله العلايلي، دار الجيل، بيروت، دار لسان العرب، بيروت، ج2، 1988 ص، 1152

وقد قسّم بعضهم التّرادف إلى نوعين:

أ–التّرادف الكليّ (العام): وهو أن تتّحد لفظتان، أو عدّة ألفاظ في دلالة واحدة، وأن تقبل التّبادل فيما بينها في أيّ سياق.

ب–التّرادف الجزئي(النّاقص): وهو أن تتّحد لفظتان، أو عدّة ألفاظ في دلالة واحدة، وأن تقبل التّبادل في بعض السّياقات فقط، ومثال ذلك كلمة فرس وحصان فإنّهما لا تتبادلان في جميع السّياقات، بل في بعضها فقط؛ فإذا قلنا: امتطى الرّجل فرسا، فالملاحظ أنّه يمكن أن تحلّ كلمة حصان محلّ كلمة فرس، دون أن يختلّ المعنى، أمّا إذا قلنا: وضعت الفرس مهرا، فلا يمكن أن تحلّ كلمة (الحصان) محلّ كلمة الفرس.

2 ـ تعريف الترادف:

2 . 1 ـ الترادف لغة:لقد وردت لفظة (ردف) في العديد من آيات القرءان الكريم من بينها قوله تعالى:(قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رِدْفٌ لَكُمْ بَعْضَ الذِي تَستْعجِلُونَهُ)[1]وكذلك قول الله عزّ وجـل: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مَعَكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ)[2]

وردف الراكب خلف الراكب، والردف في الشّعر الألف والياء والواو التي قبل الوي لأنه ملحق في التزامه، والمترادف كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان وهي: متفاعلان وفاعلتان وفعلتان وفعليان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعيل وفعول. [3]

2 . 2 ـ الترادف اصطلاحا:

الترادف هو ما اختلف لفظه واتّفق معناه، أو إطلاق عدّة كلمات على مدلول واحد وقد قال القدامى أنّ أسماء الأسد كثيرة فذكروا منها: الأسد، اللّيث، الضرغام، أسامة، الحسام، المهند،

[1] سورة النّمل، الآية (72)

[2] سورة الأنفال، الآية (09)

[3] مُحَمَّد الزّبيدي ، تاج العروس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص 176 – 177.

الهصور، المهاصر، القسور، الأغضف، الفرناس [1] وبصيغة أخرى: الترادف هو تعدّد الدوال التي تشير إلى مدلول واحد[2]. ولقد عرّفه الإمام فخر الدين: "هي الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد"[3] وقد عرفه الشريف الجرجاني:"الترادف تطلق على معنيين أحدهما الاتّحاد في الصدق والثاني الاتّحاد في المفهوم "[4] ومن المعاصرين يقول الانجليزي أولمان المترادفات ألفاظ متّحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق". [5]

تتّحد هذه التعريفات في ثلاثة نقاط أساسية:

أ ـ المتعدد هي الألفاظ.

ب ـ الثابت والتحد هو المعنى.

ج ـ الرّبط بين الترادف والسّياق.

3 . شروط التّرادف

يقول إبراهيم أنيس في كتابه (في اللّهجات العربية):"يجمع المحدثون من علماء اللّغات على مكان وقوع الترادف في أيّ لغة من لغات البشر بل أنّ الواقع المشاهد كلّ لغة تشتمل على تلك الكلمات المترادفة، ولكنّهم يشترطون شروط معيّنة لا بدّ من تحقّقها ، حتّى يمكن أن يقال أنّ بين الكلمتين ترادف[6] وهي:

---

[1] يُنظر جلال الدّين السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ، شرح وتعليق: محمّد جاد المولى بك و محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعليّ محمّد البجاوي، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت ، ج1، 1987، ص 405-406.

[2] ينظر ابن فارس،الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1،1997، ص 59.

[3] المرجع نفسه ، ص 59.

[4] المرجع نفسه ، ص 59.

[5] ينظر الفروق اللّغويّة، أبوهلال العسكري ، تح أبي عمرو عماد زكي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ،دط ،دس،ص 233.

[6] ينظر إبراهيم أنيس، اللّهجات العربية، ص167.

3 . 1 الاتّفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما.

على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة ، ويكتفي اللّغوي الحديث بالفهم العادي لمتوسطي النّاس حين النظر إلى مثل هذه الكلمات ، فإذا تبيّن لنا بدليل قوي أنّ العربي كان يفهم حقا من كلمة (جلس) يستفيد من كلمة (قعد) قلنا حينئذ ليس بينهما ترادف.[1]

3 . 2 الاتّحاد في البيئة اللغوية:

أي أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللّهجات، يجب إذا أن لا ننسى الترّادف من لهجات العرب المتباينة، فالترادف بمعناه الدّقيق: هو أن يكون للرجل الواحد في البيئة الواحدة الحريّة في استعمال كلمتين أو أكثر في معنى واحد، يختار هذه حينا و يختار تلك حينا آخر، وفي كلتا الحالتين لا يكاد يشعر بفرق بينهما إلا بمقدار ما يسمح به مجال القول أو الأسلوب، ولم يفطن العلماء إلى مثل هذا الشّرط ، بل اعتبروا كل اللّهجات وحدة متماسكة ، وعدّوا كل الجزيرة العربية بيئة واحدة، لكننا نعتبر اللّغة النموذجية الأدبية بيئة واحدة ونعتبر كل لهجة أو مجموعة منسجمة من اللّهجات بيئة واحدة.[2]

3 . 3 الاتّحاد في العصر:

فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معيّن، وتلك هي النظرة التي يعبرّون عنها (**Synchronique**) لا تلك النّظرة التاريخية التي تتّبع الكلمات المستعملة في عصور مختلفة ثم تتّخذ منها مترادفات وهذه النظرة الأخيرة هي التي يسمونها (**Diachronique**)[3]

---

[1] ينظر رمضان عبد التّواب ، فصول في فقه العربيّة ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999، ص 320.

[2] يُنظر جلال الدين السيوطي ،المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، ج1، ص، 406.

[3] ينظر عماد حاتم، في فقه اللّغة وتاريخ الكتابة، المنشأة العامّة للنّشر و التّوزيع و الإعلان، طرابلس، ليبيا، ط1، 1982، ص32.

3 . 4 ألاّ يكون أحد اللّفظين نتيجة تطوّر صوتي للفظ آخر:

فحين نقارن بين(الجثل والجفل) بمعنى (النمل) يلاحظ أنّ إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلا والأخرى تطورا لها ، فإذا كان الأصل هنا هو الكلمة الأولى قلنا إنّ (الجفل) صيغة حضرية نشأت في بيئة تراعي خفوت الصوت والتقليل من وضوحه، أما إن كانت الثانية هي الأصل (الجثل) رشّحنا أنّها نشأت في بيئة بدوية تميل إلى الأصوات الأكثر وضوحا في السمع.[1]

فإذا طبقت هذه الشروط على اللّغة العربية اتّضح لنا أنّ الترادف لا يكاد يكون موجودا في اللّهجات العربية القديمة، وإنّما يمكن أن يلمس في اللّغة النموذجية الأدبية.

4 . التّرادف عند علماء العربية:

4 . 1 المثبتون للترادف

من اللّغويين القائلين بوقوع الترادف في اللّغة العربية ابن خالويه، أبو بكر الزبيدي،الرّماني، ابن جني،الباقلاني،ابن سيدة، حمزة الأصفهاني، الفيروز أبادي، السيوطي ...وغيرهم.

4 . أ حجج المثبتين للتّرادف:يحتج المثبتون للترادف بما يلي:

ـ الترادف لا يعني التشابه التّام ، إنما يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد.

ـ لو كان لكلّ لفظة معنى غير معنى الأخرى ، لما أمكن أن نعبّر عن شيء بغير عبارته وذلك كأن نقول في "لا ريب فيه:لا شكّ فيه" وأهل اللّغة إذا أرادوا أن يفسّروا "اللبّ" قالوا "العقل" فلو كان الريب غير الشك واللبّ غير العقل لكان التعبير خطأ، فلما عبّر بهذا عن هذا علم أن المعنى واحد

ـ إنّ المتكلم يأتي بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيدا ومبالغة كقوله: "وهند أتى من دونها النأي والبعد". [2]

4ـ 2 المنكرون للتّرادف.

منهم ثعلب وابن درستويه وابن فارس وأبو عليّ الفارسي وأبو هلال العسكري والبيضاوي.

---

[1] ابن جنّي أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحق: محمّد عليّ النّجار، المكتبة العلميّة، القاهرة،ج1 ، 1952، ص374.

[2] ينظر عليّ القاسمي، علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العمليّة ، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008 ، ص 368.

4 . ج حجج المنكرين للتّرادف:

ـ لا يجوز أن يختلف اللّفظ والمعنى واحد لأن في كل لفظة زيادة معنى ليس في الأخرى ففي ذهب معنى ليس في مضى.[1]

ومن الّذين أنكروا وجود التّرادف أبو علي الفارسيّ، فما حكي عنه أنّه كان بمجلس سيف الدّولة بحلب، وكان معه جماعة من أهل اللّغة، وفيهم ابن خالويه ت(370هـ)، فقال ابن خالويه: "أنا أحفظ للسّيف خمسين اسما"، فتبسّم أبو عليّ وقال: "ما أحفظ له إلاّ اسما واحدا وهو السّيف"، فقال ابن خالويه: "فأين المهنّد والصّارم وكذا وكذا؟" فقال أبو عليّ: "هذه صفات، وكأنّ الشّيخ لا يفرّق بين الاسم والصّفة.[2]

أمّا أحمد بن فارس فيقول في كتابه الصّاحبيّ: "يسمّى الشّيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام، كرجل وفرس، وتسمّى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: (عين الماء)، و(عين المال) و(عين السّحاب)، ويسمّى الشّيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: السّيف والمهنّد والحسام"[3]

لكنّ ابن فارس ضدّ هذا الرّأي، لذا يقول: «والّذي نقوله في هذا: إنّ الاسم واحد، وهو (السّيف) وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أنّ كلّ صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى.

5 . أسباب الترادف:

بعض الألفاظ كانت تدلّ في الماضي على أوصاف محددة لاعتبارات معينة ، غير أنّه مع مرور الزّمن توسّع في استعمالها ففقدت الوصفية واقتربت من الاسمية ، واكتفي بالصفة عن الموصوف

---

[1] يُنظر معجم الشّامل في علوم اللّغة العربيّة ومصطلحاتها، مُحَمَّد سعيد ،إيسير بلال ،جنيدي، دار العودة، بيروت، ط 2 1985 ص 279.

[2] ينظر علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العمليّة، ص 371-372.

[3] ينظر ابن منظور ، لسان العرب ، مج 2، ص 1152.

وأصبح هذا الوصف اسما مثل: المدام: كانت صفة الخمر تعني الذي لأديم في الدن وهي الآن تطلق على أنّها اسم من أسماء الخمر.[1]

5 . أ اختلاف اللهجات العربية:العربيّة لغة ذات لهجات متعددة تختلف في أسماء بعض الأشياء فالشيء الواحد قد يسمى عند القبيلة بلفظ وعند الأخرى بلفظ آخر، وبسبب اختلاط العرب في حروبهم ومعاشهم وأسواقهم فقد تطغى بعض الألفاظ على بعض. واشتهرت الكلمات التي تعتبر أسهل وأفضل من غيرها، فاجتمع للإنسان الواحد أكثر من لفظة للشيء الواحد، من ذلك مثلا:

ـ السكين يدعوها بذلك أهل مكة وغيرهم وعند بعض الأزد يسميها المدية.

ـ القمح لغة شامية، والحنطة لغة كوفية، وقيل البرّ لغة حجازية.

ـ الإناء من فخار عند أهل مكة يدعى برمة، وعند أهل البصرة يسمى قدرا.[2]

5 . ب الاقتراض من اللغات الأعجمية:

اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأعجمية من فرس وروم وأحباش أدى إلى دخول عدد من الكلمات الأعجمية في العربية، بعضها غلب استعماله حتى طغى على نظيره الغربي، من ذلك:

أعجمي: النرجس والعربي:العبْهر. أعجمي:الرصاص والعربي: الصرفان ،أعجمي: الياسمين والعربي:السّمسق. أعجمي:المسك والعربي:المشموم.[3]

5 – ج المجاز.

تعتبر المجازات سببا مهما من أسباب حدوث التّرادف، لأنّها تصبح مرادفات أخرى بجانب المفردات الأصلية في حقبة من تاريخ اللغة من ذلك:

تسمية العسل بالماذية: (تشبيها للشّراب الّزج الممزوج)، والسّلاف تشبيها بالخمر، والثّواب (الثواب النحل وأطلق على العسل بتسمية الشيء باسم صانعه) والصّهباء تشبيها بالخمر، والنحل العسل،

[1] علي عبد الواحد وافي ، فقه اللّغة ، ص 190.

[2] إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربية ، ص 192-193.

[3] ينظر السيوطي ، المزهر ، مج 1، ص 385. و إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربية ، ص 193, و رمضان عبد التّواب ، فصول في فقه اللّغة ص 326.

تسمية اللّغة لسانا لأن اللّسان آلة اللّغة.

تسمية الجاسوس عينا لعلاقة الجزئية.

تسمية الرقيق رقبة لعلاقة الجزئية.[1]

5 – د التّساهل في الاستعمال

التّساهل في استعمال الكلمة وعدم مراعاة دلالتها الصّحيحة يؤدي إلى تداخلها مع بعض في حقلها الدّلالي: – المائدة: لا يقال عنها مائدة إلا إذا كان عليها طعام وإلا فهي خوان.

- الكأس: إذا كان فيها شراب وإلا فهي قدح.
- الكوز: إذا كان له عروة وإلا فهو كوب.
- الثّرى: إذا كان نديّا وإلا فهو تراب.[2]

- **2 المشترك اللّفظي**

لاشك في أن الاشتراك اللّفظي علامة واضحة في اللّغة العربية، وهو خصيصة لها، وعامل من عوامل تنميتها، وقد تنبّه العلماء له، وأشاروا إلى شواهده، والمعاني التي تدور ألفاظه حولها

تعدّ ظاهرة المشترك اللّفظي مثل الترادف مشكلة من مشاكل العلاقات الدّلالية، التي تشرح العلاقات بين الكلمات في اللّغة الواحد، لكونها تسير خلافا للأصل، الذي يقتضي أن يكون للّفظ الواحد معنى واحد، وللمعنى الواحد لفظ واحد، والسّياق هو الذي يعيّن أحد المعاني المشتركة للّفظ الواحد، ولا شك في أنّ السّياق لا يقوم على كلمة مفردة، بل على التّركيب النّحوي الذي يعين المعنى المناسب ، وقد ضرب بعض اللّغويين (الغروب) مثلا للاشتراك اللّفظي، حيث أنشد ثلاثة أبيات على قافية واحدة، يستوي لفظها ويختلف معناها:

يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رحل الجيران عند الغروب

أتبعتهم طرفي وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض الغروب

[1] علم اللّسان العربي ، فقه اللّغة العربية ، عبد الكريم مجاهد ، دار أسامة عمان الأردن ، ط 1 ، س 2005 ، ص301.

[2] حاكم ملك الزيادي ، التّرادف في اللّغة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، د ط ، د س ، ص 22-23.

بانوا وفيهم طفـــــلة حرة تفتر عن مثل أقاحي الغروب

(الغروب الأول غروب الشّمس)والثاني: جمع غرب، وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث: جمع غرب، وهو الوهاد المنخفضة،[1] وما كان للقارئ أن يعيّن معنى كل واحد منها لولا السّياق.

2 – 1 حدّ الاشتراك اللفظي

أ – الاشتراك لغة: جاء في اللّسان الْشُّرْكَةُ والشّرِكَةُ سواء: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى:تشاركنا، وقد اشترك الرجلان، وتشاركا وشارك أحدهما الآخر ... واسم مشترك تشترك فيه معاني كثيرة كالعين ونحوها فانّه يجمع معاني كثيرة. [2]

ب – الاشتراك اللّفظي اصطلاحا:

يعدّ سيبويه أوّل من أشار إلى الاشتراك اللّفظي، حيث قال :(اتفاق اللّفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة وأشباه هذا كثير.[3]

وذكر السيوطي تعريف المشترك اللّفظي عند أهل الأصول، قال هو: اللفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة.[4]

2 – 2 اختلاف اللّغويون في المشترك اللّفظي.

احتوى القرآن الكريم والحديث الشريف على طائفة من الألفاظ مشتركة المعاني ، عنى بجمعها وتصنيفها عدد من علماء اللّغة ، وكان ذلك سببا في اختلاف المفسّرين وعلماء الفقه و الأصول في تأويل كثير من آيات القرآن الكريم، وتفسير مجموعة من الأحاديث النبوية ، ممّا أدى إلى اختلاف في استنباط أحكام فقهية، وفي تحديد بعض الأفكار والمواقف العقدية و وقد دفع ذلك الأصوليين والفقهاء والمتكلمين إلى الاهتمام بالاشتراك اللّفظي ، وبالمسائل الأخرى المتعلقة

[1] السيوطي، المزهر، ج 1 ص 376.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (شرك).

[3] سيبويه ، الكتاب ، ص 24.

[4] السيوطي، المزهر،ج 1، ص 369.

بدلالات الألفاظ عامة، كما دفع بعض اللّغويين أنفسهم إلى المزيد من الاهتمام بالاشتراك اللّفظي والتوجه للجمع والتأليف فيه، والخوض في مناقشة ما يتعلق منه بألفاظ القرآن الكريم.

كما كان في وقوع الترادف في اللّغة خلاف بين اللّغويين اختلف العلماء في المشترك اللفظي في ثلاثة مذاهب

أوّلها: مذهب الإثبات.

أكثر الأصوليين واللّغويين على أنّ المشترك اللّفظي ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضعين بأن يضع أحدهما لفظ لمعنى، ثمّ يضعها الآخر لمعنى آخر ... وإمّا من واضع واحد لغرض الإيهام على السامع... والأكثرون على أنّه واقع لنقل أهل اللّغة ذلك في كثير من الألفاظ، ومن النّاس من أوجب وقوعه، قال: بأنّ المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية، إذا وزع لزم الاشتراك،[1] ومن هذا الفريق الذي أيّد وقوع الاشتراك اللفظي في اللّغة العربية لغويون كثر على رأسهم الخليل وسيبويه، وأبو عبيدة،والأصمعي.[2]

والذي يظهر أنّ هذا المذهب أقرب للصواب،وأكثر اتساقا مع طبيعة اللّغة، ومع الواقع اللّغوي. ومن أعظم النصوص حجيّة مما وقع فيه الاشتراك اللّفظي القرآن الكريم، ومن ذلك الرّبط، وهو السيّد والمالك والثّابت،والمعبود،والمصلح، وزاد بعضهم بمعنى الصاحب ... وبعضهم بمعنى الخالق العالم لا ومفرد لها.[3]

ثانيا: مذهب الإنكار(المنع).

ذهب نفر من علماء الأصول وبعض اللغويين إلى منع وقوع الاشتراك اللفظي مطلقا ، واحتجوا بذلك أن يكون للّفظ معنى واحد فقط ، فليس من الحكمة ورود أكثر من معنى للفظ واحد ،و المشترك اللفظي طريق للإيهام ، والغموض وأنه داخل في باب المجاز فلا يعدّ وجوده صفة

[1] السيوطي، المزهر، ج1 ص 369.

[2] ابن جنّي، الخصائص، ج 2، ص 93.

[3] أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تح عادل أحمد،علي معوض، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، ج 1،1993،ص 130.

محدودة ، لأنه يسلب اللّفظ جانبا من وضوحه وجلائه ، فمن شروط اللّفظ السليم وضوحه فأحسن الكلام ما أفهم السامعون مضمونه دون جهد ، و أهمّ من يقول بهذا ابن درستويه[1]القائل: وقد ذكر لفظ (وجد) واختلاف معانيه ، إذ يقال : وجد الشيء وجدانا إذا عثر عليه ووجد عليه موجدة إذا غضب عليه ، ووجد به وجدا أحبّه حبّا شديدا، ظنّ من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق ، أنّ هذا لفظ واحد جاء لمعاني مختلفة ، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد وهو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا ،ولكن فرّقوا بين المصادر لأن المفعولات كانت مختلفة ، والمصادر كثيرة التصاريف جدا ،وأمثلتها كثيرة مختلفة، وقياسها غامض ، لذلك توهّم أهل اللّغة أنّها تأتي على غير قياس ولم يقفوا على عورها.[2]

ثالثا: مذهب اللّغويين المحدثين .

أما اللّغويون المحدثين فيظهر أنهم اختلفوا فيما بينهم حيال تلك القضية، ففريق منكر لوقوع الاشتراك اللّفظي مطلقا، كما رمضان عبد التواب، الذي قال: المشترك اللفظي لا وجود له في واقع الأمر إلاّ في معجم لغة من اللغات، أمّا في نصوص هذه اللغة واستعمالاتها فلا وجود إلا لمعنى واحد من معاني هذا المشترك اللفظي.[3]

كما نسب مذهب المنع إلى أولمان وفندريس،[4] وفريق مثبت لوقوعه، كصبحي الصالح الذي يرى أن الاشتراك اللّفظي سبب من أسباب ثراء العربية، حيث يقول:(إن في المشترك لتنوعا في المعاني سبب تنوّع الاستعمال، وأنّ في اشتمال العربية على قدر لا يستهان به من الألفاظ التي تنوّع استعمالها بتنوع السّياق، لدليل على سعتها في التّعبير عن طريق الاشتراك.[5]

---

[1] السيوطي، المزهر، ج 1، ص 384.

[2] رمضان عبد التّواب، فصول في فقه اللغة، ص 334.

[3] المرجع نفسه، ص 334.

[4] صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين ، ط1 ،1960 ، ص 307.

[5] المرجع نفسه، ص 358.

وتوسّط قوم من المحدثين بين المثبتين والمنكرين، ومن أولئك علي عبد الواحد وافي، الذي قرّر أنّه من التعسّف محاولة إنكار المشترك إنكارا تاما .... غير أنّه لم يكن ورود المشترك في اللّغة العربية على الصورة التي ذهب إليها.

2 –3 أسباب نشوء الاشتراك اللّفظي

يرجع الباحثون أسباب الاشتراك اللّفظي إلى أسباب، سنقف على أهمّها، فمن تلك الأسباب

أ : الاستعمال المجازي:

من عوامل نشوء الاشتراك اللّفظي الاستعمال المجازي،[1] ولا يقع الاستعمال المجازي في هذا الباب متعمّدا ، كما هو الحال في الشعر ، بل قد يقع – كما قال السيوطي – في بيئة لغوية واحدة في وقت واحد دون تواضع بينهم و ثمّ ينتشر الى بيئات أوسع ، وأزمان أطول ، وهذا نجده في لغتنا المحكية ، فما أكثر المجازات عند المتكلمين ، بعضها لا يكاد يبقى شهورا و ثم يهجر،وربما لا يتجاوز بيئة الصغيرة و وبعضها الآخر يصارع ، ثم يموت بانحصار جيله من المتكلّمين ، لكن قليل منها يبقى لأزمان ، وينتشر بين البيئات اللّغوية فهذا الذي يبقى ويفرض نفسه على اللّغة ، وهذا كله يعود لعوامل تعود لطبيعة المجاز ومطلقه (مبتدعه) والبيئة التي أطلق فيها ، ومن أمثلة الاشتراك اللّفظي ، وأسبابها الاستعمال المجازي : الراوية ، ومعناها الجمل الذي يحمل قربة الماء ، ثم أصبحت تعني القربة مجازا ، من باب إعطاء الشيء اسم مكانه.

ب – الاقتراض اللّغوي:

يحدث الاقتراض بين اللّغات، وقد تطابق الكلمة المقترضة كلمة موجودة في اللغة المقترضة فتكون بذلك مشتركا لفظيا، ويضرب إبراهيم أنيس في ذلك مثلا: برج بمعنى الحصن اقترضته العربية من اليونانية، وصادف أن هذه المادة موجودة في العربية بمعنى آخر فأصبحت هذه المادة من الاشتراك اللفظي.[2]

[1] ينظر السيوطي، المزهر، ج 1، ص 375.

[2] رمضان عبد التّواب ، فصول في فقه اللغة ، ص329.

ج –الاقتراض الصوتي.

والمقصود به تغيير في النطق يطرأ على لفظ عن طريق الحذف، أو الزيادة أو القلب المكاني، أو الإبدال، مما ينشأ عنه تطابق بين ذلك اللفظ ولفظ آخر،يختلف عنه في المدلول، فيحصل الاشتراك اللفظي،[1]فمن القلب المكاني دام دمى حكي كراع أن (دام) في باب استفعال: استدام ويستعمل بمعنى استدمى، ومنها خطا وخاط، بقلبهما صارتا في المشترك اللفظي.[2]

د – تعدّد اللّهجات

ذكر اللّغويون أنّ أسباب وقوع المشترك اللّفظي اختلاف لغتين (لهجتين) في استخدام لفظ ما [3] حيث يضع أحدهما لفظا لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر، يشتهر ذلك اللّفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين[4] ومن الاشتراك اللفظي بسبب التعدّد اللّهجي الألفت: فهو الأحمق في لهجة قيس، والأعسر في لغة تميم، ولا يمنع أن يوضع أو يستعمل اللّفظ الواحد للدّلالة على معنيين قصدا، بل من الممكن أن يكون ذلك من واضع واحد، أو من قبل واضعين اثنين.

وسواء أقلّ الاشتراك اللفظي إلى الحدّ الذي اعترف به منكروه، أو كثر إلى الحدّ كتب فيه بعضهم مصنفات، فالأمر واحد فالأمر أنه موجود في اللغة، وله دَور في تحديد هذه الدّلالة.

ثالثا: التضادّ.

الاشتراك اللّفظي ظاهرة لغويّة أسهمت في نموّ الثّروة اللغويّة والاتّساع في التّعبير في اللّغات، والتضادّ ضرب من الاشتراك اللّفظي، وهو اللّفظة الواحدة لها معنيان مختلفان فأكثر، فإذا وصل هذا الاختلاف إلى حدّ التعاكس عُدّت اللّفظة في الأضداد، ومن أمثلة التضادّ: الصّريم: اللّيل والنّهار، والصارخ للمغيث والمستغيث،[5] وقد عُني اللغويّون بدراسة التضادّ، وألّف في الأضداد

[1] ينظر علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص 192، وصبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص 304.

[2] السيوطي ، المزهر , مج 1 ، ص 369 .

[3] ينظر السيوطي ، المزهر ، مج 1 ، ص 271 .

[4] المصدر نفسه , الموضع نفسه .

[5] ينظر ابن الأنباري، الأضداد ، تح مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت ، 1987، ص 8.

جماعة من أئمّة اللّغة، منهم قطرب، والتّوزي، وأبو بكر القاسم بن الأنباري، وأبو البركات ابن الأنباري، وابن الدهّان، والصغاني.[1]

حدّ التضادّ:

أ ـ التضادّ لغة:

الضدّ لغة: "كلّ شيء ضادّ شيئا ليغلبه، والسّواد ضدّ البياض، والموت ضدّ الحياة، والليل ضدّ النّهار إذا جاء هذا ذهب ذلك".[2]

ب ـ التضادّ اصطلاحا:

وأمّا اصطلاحا فهي الألفاظ "الّتي توقعها العرب على المعاني المتضادّة، فيكون الحرف منها مؤدّيا عن معنيين مختلفين"[3] يعني معنيين متضادّين.

اختلاف اللّغويّين في التضادّ:

اختلف العلماء حول التضادّ، فانقسموا فريقا:

الفريق الأوّل:

يقرّ بوجود التضادّ جمهور اللغويّين، منهم الخليل بن أحمد، وأبو عمرو الشيباني، وقطرب، وأبو عبيدة، والأخفش الأوسط، وأبو زيد الأنصاري، والأصمعي، وابن الأعرابي، وابن السكّيت، وأبو حاتم السجستاني، وقد خصّ كثير منهم هذه الظّاهرة بتأليف مستقلّ كقطرب، والأصمعي، وابن السكّيت، وابن الأنباري،[4] ومع إقرارهم بهذه الظّاهرة فقد اعترفوا بقلّة ألفاظ التضادّ، قال ابن الأنباري: "وهذا الضّرب من الألفاظ هو القليل الظّريف في كلام العرب".[5]

[1] ينظر السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، ج1، ص397.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ضدد).

[3] ابن الانباري، الأضداد، ص1.

[4] ينظر السّيوطي، المصدر نفسه، ج1، ص398.

[5] ابن الأنباري، الأضداد، ص6.

وهذا الفريق يرى أنّ إفادة اللّفظ الواحد معنيين متضادّين جاز في كلام العرب؛ لأنّ سياق الكلام يحدّد المراد منه، وفي ذلك يقول ابن الأنباري: "كلام العرب يصحّح بعضه بعضا، ويرتبط أوّله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب إلّا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللّفظة على المعنيين المتضادّين؛ لأنّها يتقدّمها ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصيّة أحد المعنيين دون الآخر، ولا يُراد بها فس حال التكلّم والإخبار إلّا معنى واحد."[1]

وهذا هو المذهب المختار، وقد جاء في كتاب الله ألفاظ ممّا عُدّ من التضادّ، فمن ذلك (أخفى)، قال أبو حيان في تفسيره قوله تعالى: {إنّ السّاعة آتية أكاد أخفيها}[2]: "أخفى من الأضداد بمعنى الإظهار، وبمعنى السّتر."[3]

و (الهبوط) يُطلق على الخروج عن البلدة، والدّخول فيها، قال أبو حيّان في قوله تعالى: {وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ}[4]: "الهبوط هو النّزول مصدر هبط، وهبط يهبط بكسر الباء وضمّها، والهبوط بالفتح موضع النّزول، وقال المفضّل: الهبوط: الخروج عن البلدة، وهو أيضا الدّخول فيها من الأضداد."[5]

و(هجد) يُطلق على النّائم باللّيل، وعلى المصلّي بالنّهار، قال أبو حيّان في تفسير قوله تعالى: {ومن الليل فتهجّد به نافلة}[6]: "قال أبو عبيدة: الهاجد النّائم والمصلّي، وقال ابن الأعرابي: هجد هجد الرّجل: صلّى الرّجل، وهجد نام باليل، وقال الليث: استيقظ للصّلاة، وقال ابن برزخ: هجّدته: أيقظته، فعلى ما ذكروا يكون من الأضداد."[7]

---

[1] ابن الأنباري، الأضداد ، ص2.

[2] سورة طه ، الآية (15).

[3] أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص218.

[4] سورة البقرة الآية (36).

[5] أبو حيّان الأندلسي، المصدر نفسه، ج1، ص211.

[6] سورة الإسراء ، الآية (79).

[7] السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، ج1، ص 395.

الفريق الثّاني:

أنكر ابن درستويه وقوع التضادّ، محتجّا بأنّه نوع من الاشتراك اللّفظي؛ لأنّه قد قرّر امتناع الاشتراك اللّفظي، والتضادّ قسم منه، نقل عنه السّيوطي قوله: "النَّوْء: الارتفاع بمشقّة وثقل، ومنه قيل للكوكب: قد ناء إذا طلع، وزعم قوم من اللغويّين أنّ النّوء السّقوط أيضا، وأنّه من الأضداد."[1]

أسباب نشوء التضادّ:

يرى الباحثون أنّ لظاهرة التضادّ أسباب منها:

1 ـ تعدّد اللّهجات:

وهذا السّبب في تقدير الدّلالة اللغويّة وتحديدها بدقّة تعليل وجيه، إذ من غير المقبول أن يضع القوم الّذين يعيشون في بيئة واحدة اللّفظ لمعنى معيّن، ثمّ يضعونه للدّلالة على ضدّه، وقد أوضح ذلك صراحة ابن الأنباري حين قال: "إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين فمحال أن يكون العربي قد أوقعهما عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحيّ من العرب، والمعنى الآخر لحيّ غيره، ثمّ سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا: فالجون: الأبيض في لغة حيّ من العرب، والجون: الأسود في لغة حيّ آخر، ثمّ أخذ الفريقين من الآخر، كما قالت قريش: حسِب يحسِب ... أخذوا يحسب بكسر السّين في المستقبل عن قوم من العرب يقولون: حسَب يحسِب، فكأنّ حسِب من لغتهم في أنفسهم، ويحسِب لغة لغيرهم سمعوها فتكلّموا بها، ولم يقع أصل البناء على فعْل يفعَل."[2] ولعلّ هذا الرّأي من أقرب ما قيل في تعليل الأضداد إلى معايير التّحليل اللّغوي.

[1] السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، ج1، ص395

[2] ابن الأنباري، الأضداد، ص11 -12.

2 ـ الاستعمال المجازي:

يُراد به الاتّساع في استعمال دلالة الألفاظ الحقيقيّة، والانتقال منها إلى معان مجازيّة لعلاقة ما تربط بين المعنيين، وقد يصل هذا الاتّساع إلى درجة الضدّيّة، ولما كثر استعمال هذه الألفاظ بمعانيها الجديدة، ونُسي الأصل عُدّت من الأضداد.[1]

3 ـ التطوّر الدّلالي:

وهو الّذي في ضوءه يمكن تعليل إطلاق معنى الطّرب على الحزن والفرح، وعدّه من الأضداد، في حين يرى ابن الأنباري أنّه: "ليس هو الفرح ولا الحزن، إنّما هو خفّة تلحق بالإنسان في وقت فرحه وحزنه."[2] وقد يُخلط هذا اليوم في الحركات وضرب الرّاح بعضها ببعض، وإطلاق النّار في حالي الفرح والحزن، ممّا يرجّح أنّ هذا أصل المعنى، ثمّ بالتطوّر اللّغوي خُصّص للّدلالة على ضدّين، وقل مثل ذلك في المأتم الّذي يدلّ على الضدّيّة في الحزن والفرح عند بعضهم، وإن كان يدلّ في الأصل على الجماعة، أو على جماعة النّساء خاصّة، في السرّاء والضرّاء، فالمعنى العامّ القديم تطوّر إلى معنيين متضادّين.

4 ـ التّفاؤل والتشاؤم والتهكّم، والخوف من الحسد:

ممّا يمكن عدّه من أسباب نشوء التضادّ في اللّغة استعمال اللّفظ في معنى ضدّه تفاؤلا أو تشاؤما أو تهكّما، حتّى يشيع في الاستخدام، ويكاد يُنسى أصلها ومن ذلك السّليم للّديغ، والبصير للأعمى، والمفازة للمهلكة، (البيداء)، ويا عاقلا للرّجل يستجهل، والقافلة تفاؤلا بقفولها، أي رجوعها، وإن كانت ذاهبة.[3]

5 ـ عموم المعنى الأصلي:

يكون المعنى الأصلي للكلمة عامّا، ثمّ يتخصّص في معنيين على طرفي نقيض، وقال ابن الأنباري: "إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين، فالأصل لمعنى واحد، ثمّ تداخل الاثنان على

[1] ينظر ابن الأنباري، الأضداد، ص 8.

[2] المصدر نفسه، ص 103.

[3] ينظر ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة، ص 196.

وجه الاتّساع، فمن ذلك الصّريم، يُقال للّيل: صريم، وللنّهار: صريم؛ لأنّ الليل ينصرم من النّهار، والنّهار ينصرم من اللّيل، فأصل المعنيين من باب واحد."[1]

غير خاف أنّ لنشأة التّرادف والاشتراك اللّفظي والتّضادّ عوامل لغويّة واجتماعيّة وتاريخيّة، كما لا ينكر وجود تلك الظّواهر في لغات البشر، أمّا في العربيّة المشتركة فقد تحدّث جمهور اللغويّين عنها مقرّين بوجودها، وأفرد بعضهم لها كتبا، وعارض قوم فأنكروا وجود تلك الظّواهر، وأوّلوا شواهدها، وردّوها إلى أسباب منها: الازدواج اللّهجي، والتطوّر اللّغوي، والاختلاف في الاستعمال بين الحقيقي والمجازي، والاقتراض اللّغوي، وتتعدّد المسمّيات، وتتداخل الصّفات ممّا له علاقة بقضيّة الدالّ والمدلول.

وممّا سبق نخلص إلى الأمور التاليّة:

ـ أنّ هذه الظّواهر موجودة في كلّ اللّغات، على المستوى الفصيح أو على المستوى اللّهجي، وهي ممّا يكسب اللّغة صفة الغنى، فهذه الظّواهر من طبيعة اللّغة البشريّة حتّى مع غلبة الظنّ على أنّها لا تظهر إلّا في المراحل الأوليّة لنشأة اللّغة.

ـ أنّ الخلاف لم يكن جوهريّا بين المقرّ بوجود هذه الظّواهر والمنكر لوجودها.

[1] السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، ص 8.

الخـــــــــاتمة

خـــــاتمة:

الهدف من هذه الدّراسة هو محاولة الوصول إلى مجموعة من النّقاط المشتركة في القضايا الدّلاليّة بين الدّرس الدّلالي القديم ومدى اسهامها في تكوين الدّرس الدّلالي الحديث وأهمّ الإضافات الّتي توصّل إليها المحدثون، وسدّ الثّغرات الّتي أغفلها القدماء الّذين كان لهم فضل كبير لا يُنكر، وقد ارتأينا في نهاية بحثنا هذا إلى تقديم بعض النّتاج الّتي توصّلنا إليها، وهي:

ـ يُعدّ كتاب علم الدّلالة والنظريّات الدّلاليّة الحديثة لحسام البهنساوي من الكتب اللغويّة الحديثة الّتي راعت القضايا الدّلاليّة من علاقات ونظريّات، كما تبدو فيه روح النّظام والتّكامل، وبخاصّة في تقسيماته للأبواب والفصول.

ـ يمكن تحديد المصطلح انطلاقا من آليّات الوضع اللّغوي المتعارف عليها عند علماء اللّغة من اشتقاق، ترجمة، وتعريب.

ـ الدّلالة تدرس الجانب اللّغوي أي المعنى، وقد تدرس الجانب غير اللّغوي مثل الرّموز، والإشارات.

ـ علم الدّلالة علم معرفيّ قائم بذاته، مستقلّ بمصطلحاته، يهتمّ بالنّشاط الكلامي، ويدرس قضيّة المعنى.

ـ المعنى قضيّة جوهريّة تتجسّد من خلال علم الدّلالة.

ـ الهدف الرّئيسي الّذي تنتهي إليه الدّراسة اللغويّة هي إبراز المعنى أو الدّلالة اللّغويّة.

ـ على الرّغم من اختلاف مبادئ ومنطلقات مختلف النظريّات الدّلاليّة الحديثة إلّا أنّ هدفها واحد ووحيد، وهو دراسة المعنى.

ـ التغيّر الدّلالي ظاهرة حتميّة للتطوّر عموما في أي جانب من الجوانب اللغويّة للمعنى وذلك أنّ تطوّر الإنسان يؤدّي إلى تطوّر استعمالاته للّغة.

ـ معنى الكلمة المتعدّد يتحدّد من السّياق الّذي وردت فيه.

ـ حرص القدماء والمحدثين على الاهتمام بموضوع الدّلالة، إلّا أنّ مصطلح علم الدّلالة لم يُصطلح عليه إلّا عند المحدثين.

ـ اتّفاق العلماء القدماء والمحدثين على ضرورة السّياق ومدى أهمّيته في تحديد دلالة الألفاظ.

ـ الدّلالة عند القدماء تقابل مصطلح المعنى إلّا أنّها عند المحدثين اختلفت الآراء فيما بينهم، فمنهم من يرى أنّ الدّلالة أوسع من المعنى، ومنهم من يرى العكس، ومنهم من يرى أنّ كلّ دلالة تتضمّن معنى، وليس كلّ معنى يتضمّم دلالة.

ـ تناول القدماء والمحدثين مباحث دلاليّة تتّصل بالاشتراك والتّرادف والأضداد، لكن ظهرت عندهم فرق مؤيّدة وأخرى معارضة.

وبعد كلّ هذا نلاحظ أنّ حسام البهنساوي كان همّه التصدّي للنّقائص الكثيرة والاضطرابات الّتي كانت تشوّش على الدّلالة وتؤثّر في وضوح مفاهيمها وجلاء مصطلحاتها، لذلك نجده أحاط بجميع مواضيعها.

وخلاصة القول أنّ حسام البهنساوي استمدّ من السّابقين، وأمدّ اللّاحقين بقاعدة متينة أتاحت لنا فهم وتفسير جميع المباحث الدّلاليّة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1 ـ المصادر والمراجع:

1 – إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997.

2 – إبراهيم السامرائي، مباحث لغوية، مطبعة الآداب، النجف، د ط، 1971.

3 – إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط5، 1984.

4 – أحمد ابن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1،1997.

5 – أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدوان للطباعة والنشر، بيروت.

6 – أحمد عبد الرّحمن حمّاد، العلاقة بين اللغة والفكر دراسة للعلاقة اللزومية بين اللغة والفكر، دار المعرفة الجامعية، د ط، د ت.

7 – أحمد عبد الرّحمن حماد، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، د ط، د ت.

8 – ابن الأنباري، الأضداد ، تح مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت ، 1987.

9 – الثّعالبي، الكناية والتعريض، تحقيق مُحَمَّد بدر الدين النعساني، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د ط، 1991.

10 – جلال الدّين السّيوطي ، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ، تع: محمّد جاد المولى بك و محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعليّ محمّد البجاوي، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، 1987.

11 – ابن جنّي، الخصائص، تحق: محمّد عليّ النّجار، المكتبة العلميّة، القاهرة، 1952.

12 – ابن جنّي، الخصائص، تحقيق مُحَمَّد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط4، 1999.

13 – حاكم ملك الزيادي ، التّرادف في اللّغة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، د ط ، د ت.

14 – حسن ظاظا، كلام العرب، من قضايا اللّغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط 1976.

15 – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تح عادل أحمد،علي معوض، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1 1993.

16 – رمضان عبد التّواب ، فصول في فقه العربيّة ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999.

17 – رمضان عبد التّواب، التطور اللغوي مظاهرة وعلله وقوانينه،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997.

18 – رمضان عبد التّواب، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، ط2، 2000.

19 – سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1996.

20 – صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين ، ط1 ، 1960.

21 – عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 1966.

22 – عبد الكريم مجاهد، علم اللّسان العربي، فقه اللّغة العربية ، دار أسامة عمان الأردن ، ط 1، 2005.

23 – عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، جامعة القدس المفتوحة،عمان، ط1، 1998.

24 – علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مطبوعات جامعة الرياض، الرياض، د ط، 1975.

25 – علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1944.

26 – عماد حاتم، في فقه اللّغة وتاريخ الكتابة، المنشأة العامّة للنّشر و التّوزيع و الإعلان، طرابلس، ليبيا، ط1، 1982.

27 – فايز الدّاية، علم الدلالة العربي، دمشق، دار الفكر العربي، ط2، 1996.

28 – فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، دار مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ط 1999.

29 – قاسمي، علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العمليّة ، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1 2008.

30 – مُحَمَّد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت.

31 – مُحَمَّد سعيد، إيسير بلال ،جنيدي، معجم الشّامل في علوم اللّغة العربيّة ومصطلحاتها، دار العودة، بيروت، ط 2 1985.

32 – مُحَمَّد مصطفى رضوان، نظرات في اللغة، مطابع دار الحقيقة، بنغازي، ط1، 1976.

33 – محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، دت.

34 – أبو هلال العسكري، الفروق اللّغويّة، تح أبي عمرو عماد زكي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دط، دت.

2 ـ الكتب الأجنبيّة والمترجمة:

35 – بيار غيرو، علم الدلالة، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات بيروت، ط1، 1986.

36 – جوزف فندريس،اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و مُحَمَّد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د ط، د ت.

37 – ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،ط 12 1997.

3 ـ المعاجم والموسوعات:

38 – أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة ، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدّين، منشورات محمّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1 ،1999.

39 – الجوهري، الصحاح، حققه وطبعه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1998.

40 – مُحَمَّد الزّبيدي ، تاج العروس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007.

41 – ابن منظور ، لسان العرب ، تح: الشّيخ عبد الله العلايلي، دار الجيل، بيروت، دار لسان العرب بيروت، د ط 1988.

42 – ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1956.

4 ـ المجلّات والدّوريّات:

43 ـ أحمد مُحَمَّد قدور، في الدلالة والتطور الدلالي، مجلة مجمع اللّغة العربية الأردني، ع 32، 1989.

44 – نوال كريم زرزور وكاظم فتحي الراوي،أحمد بن فارس وعلم الدلالة، مجلة آداب المستنصرية،ع 12 1985.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الواجهة	
شكر	
إهداء	
البطاقة الفنيّة.	
المقدّمة.	أ - ج
المدخل.	01 ـ 07
الفصل الأوّل: تلخيص الكتاب.	09 ـ 77
علم الدّلالة نشأته وتطوّره.	10 ـ 46
الدّراسات الدّلاليّة عند القدماء.	11
الدّراسات الدّلاليّة في الدّرس اللّغوي الحديث.	16
الوحدة الدّلاليّة.	19
النظريّات الدّلاليّة الحديثة.	23 ـ 46
النظريتان الإشارية والتصويرية.	24
النظرية السلوكية.	25
نظرية السيّاق.	28
نظرية الحقول الدلالية.	30
نظرية الحقول الدلالية والرسائل اللغوية عند العلماء العرب.	33
نظرية التحليل التكويني .	38
نظرية العلاقات الدلالية.	41
التغيّر الدّلالي.	47 ـ 77
أسباب التغيّر الدّلالي.	47

أشكال التغيّر الدّلالي.	49
أنواع التعدّد الدّلالي	53
التّرادف.	53
المشترك اللّفظي.	61
التضادّ.	70
الفصل الثّاني: دراسة قضايا.	78 . 129
عوامل التطوّر الدّلالي.	79
مظاهر التطوّر الدّلالي.	94
التّرادف.	112
المشترك اللّفظي.	119
التضادّ.	124
خاتمة.	131
قائمة المصادر والمراجع.	134
فهرس الموضوعات.	137